

مجلة الكلمة الطبية

العدد الخامس

كلمة الكلمة

على مفترق الانتظار

يقطع الإنسان في كدحه نحو بارئه، ومنذ أن دفق الدم في عروقه، منذ أن لامس الترب قدميه مسيرته الشاقة متنقلاً بين الألم والأمل.

ومنذ أن امتدت لهابيل يد أخيه لتقلته، والإنسان تهتصر أضلاعه تحت وطأة تفاصيل هذه الحياة، وأشكالها المعقدة، ومساربها الملتوية، فمع تقادم الأيام وتجسيدا لمقولة التنازع من أجل البقاء، راح الصراع بين الخير والشر يأخذ أشكالا تتناغم وما وصلت إليه البشرية في تطورها، فتنامت وسائل الفتك بالإنسان كما ونوعاً.. وراحت الإنسانية تشهد موتها بشكل آني ومتواصل في مختلف بقاع هذه الأرض.

وفي إطلالة على مجمل ما يأتي ويقوم به الأنبياء والمصلحون من عقيدة بناءة وعمل ناجح نستشف قبساً متواصلًا متناميًا من الأمل الخالص، نلمس دفء هذا الأمل في ليل الانتظار الطويل، فالأيام تتوالى، وعجلة التاريخ لا تتوانى عن الاستمرار ولا بد - حسب الوعد الإلهي - أن نرى ضوء الحياة، لا بد أن تعقب نفوسنا بنسائم الفجر الأول.

وبيننا وبين الأمل عوالم تموج بالأفكار، والقوانين المنزلة وغير المنزلة وتزاحم في ميادين الفكر والعلم حتى كأن الآية الكريمة (.. وظن أهلها أنهم قادرون عليها) بدأت في التسرب إلى نفوس بعض الناس، وفي ذات الوقت بدأت الأخطار تحدد بهذا الكوكب الصغير والذي يظن أنه كبير، فطبقة الأوزون في توسع مستمر والأمراض الفتاكة آخذة بالانتشار...

فأين المفر؟

ربما يكون هذا السؤال محيراً بالنسبة لمن قطعوا اشواطاً في البعد عن الله والنأي عن طريقه المستقيم، أما من آمن بالله ورسوله فإنه في مأمن من الحيرة، إنه ينتظر الأمل.. المخلص.. وهو صاحب العصر والزمان الإمام الحجة بن الحسن (ع) الذي سيظهر فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، فهو أمان هذه الأرض والحجة على الخلق كما روي عن رسول الله (ص).

وعلى مفترق الانتظار لابد من أن نعيش حالة الانتظار هذه بواقعية وكما يعبر عنها الإمام الشيرازي (دام ظله) بالقول (إن انتظار الفرج ليس بمعنى الانتظار القلبي فحسب وإن كان الانتظار القلبي منه، لكن بمعنى العمل أيضاً لأجله (عج)... فكما إن الانتظار بالنسبة للزارع أن يهيئ الأرض وسائر الشؤون المرتبطة بها، وكما أن المنتظر للضيف، عليه أن يهيئ المقدمات ويهيئ نفسه لذلك، فعلينا في غيبة الإمام (عج) أن نهيء أنفسنا ومجتمعاتنا بالعمل الصالح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وننتظر دولته العادلة إلى أن يصل إلى القول

(فالمنتظر يلاقي صعوبات كثيرة، حيث يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في زمان أصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً، فحينئذ يكون كالمتشحط بدمه في سبيل الله، أما الجالس المتفرج الذي لا يعمل بواجباته فهل هو كالمتشحط بدمه؟

وعلى المسلمين أن يلتفتوا إلى أنهم أصحاب رسالة هي رسالة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) والتي سينهض بها حفيده الإمام الحجة بن الحسن (عج) ليعود الإسلام كما بدأ وينشر عدله وسلامه على ربوع هذه الأرض المعذبة.. ونحن وأنتم بعونه تعالى على موعد مع هذا الانتظار المقدس.

أسرة التحرير

تقويم شهر شعبان

اليوم	السنة (هـ)	المناسبة
١	١٢٤٦هـ	وفاة الشيخ محمد حسن النجفي
يصادف هذا اليوم وفاة شيخ الفقهاء والأصوليين ومربي العلماء والمجتهدين الشيخ محمد حسن النجفي ابن الشيخ باقر صاحب كتاب (الجواهر) المصنف الذي حاز على شهرة كبيرة في مسائل الحلال والحرام.		
٢	٢هـ	فرض صيام شهر رمضان
وفي هذا اليوم من السنة الثانية للهجرة فرض الله سبحانه صيام شهر رمضان على المسلمين.		
٣	٣هـ	ولادة الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (ع)
وفي هذا اليوم ولد الإمام أبو عبد الله الحسين بن علي (ع) ثاني ولد علي (ع) من فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكانت مدة إمامته عشر سنوات وهو ثالث الأئمة بعد أبيه أمير المؤمنين وأخيه الإمام الحسن المجتبي (عليهم السلام).		
واجه الإمام الحسين (ع) الانحراف الذي اختطته الخلافة الأموية بعدما فضل البيعة ليزيد بن معاوية، ثم كانت بعدها معركة الطف في كربلاء عام ٦١ هـ حيث استشهد ودفن في كربلاء. (راجع ملف الإمام الحسن صفحة المناسبات).		
٤	٢٤هـ أو ٢٦هـ	ولادة أبي الفضل العباس بن علي (ع)
هو أبو الفضل العباس بن أمير المؤمنين (ع) وأمه فاطمة بنت حزام الكلابية (أم البنين) وكان نصير أخيه الإمام الحسين (ع) يوم كربلاء وحامل لوائه، استشهد في كربلاء هو وثلاثة من أخوته من أمه وقد قال الإمام الحسين (ع) قولته الشهيرة (ع) بعد استشهاده (الآن أنكر ظهري) لمنزلة العباس وشجاعته الفائقة في الحرب.		
٥	٤هـ على أشهر الروايات	ولادة الإمام زين العابدين
هو الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) رابع أئمة المسلمين، وكان قد سافر مع والده الإمام الحسين (ع) إلى كربلاء وكان مريضاً فكان آخر من بقي من رجالات بني هاشم وقد أسره جيش يزيد واقتادوه إلى الشام وكان له دور تربوي كبير في مدينة جده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وله كتاب الدعاء المعروف بـ (الصحيفة السجادية) تتضمن أرقى المعارف الإلهية والمفاهيم التربوية حتى سميت بـ (زبور آل محمد) (راجع ملف الإمام السجاد صفحة المناسبات).		
٩	١٠٣٩	غرق مكة
تعرضت مكة في هذا اليوم لسيل عارم ودخل الماء بيوت مكة وغرق أربعة آلاف شخص، ودخل الماء إلى الكعبة التي بقي منها الحجر الأسود فقط، وقد أعاد بناء الكعبة العلامة السيد زين العابدين الكاشاني الذي كان مجاوراً للكعبة.		

١١ ٣٣هـ ولادة علي الأكبر (ع)

وهو أحد أبناء الإمام الحسين (ع) استشهد يوم كربلاء فيمن استشهد من آل بيت النبي (ع).

١٤ ----- ليلة النصف من شعبان

وتسمى هذه الليلة بليلة المبرات والليلة المباركة وليلة الرحمة كما هي ليلة ولادة الإمام الحجة بن الحسن (عج).

وفيها أعمال مستحبة كثيرة راجع (مفاتيح الجنان) للقمي و(الدعاء والزيارة للإمام الشيرازي).

١٥ ٢٥٥هـ على أشهر الروايات ولادة الإمام الحجة بن الحسن العسكري (عج)

هو الإمام الثاني عشر من أئمة المسلمين، آخر الأئمة عليهم السلام بعد أبيه الإمام الحسن العسكري (ع) ولد في سامراء وعاش في كنف أبيه حتى سنة ٢٦٠ هـ، وكانت له غيبتان، الأولى من ٢٦٠ إلى ٣٢٩ هـ وهي الغيبة الصغرى حيث عين أربعة نواب للإجابة عن أسئلة المسلمين عن طريقهم، والثانية من ٣٢٩ هـ إلى أن يظهره الله تعالى ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً.

١٩ ٦هـ غزوة بني المصطلق

روى الشيخ البهائي: في هذا اليوم سنة ٦هـ وقعت غزوة بني المصطلق، وفي ناسخ التواريخ وقعت هذه الغزوة في السنة الخامسة.

٢٢ ٥٨٨هـ وفاة أبين شهر آشوب

ويصادف في هذا اليوم وفاة العالم الكبير الشيخ محمد بن علي بن شهر آشوب السروي المازندراني صاحب المناقب، دفن بجبل الجوشن في حلب قرب مشهد محسن السقط. وقد عُرف بن شهر آشوب بمكانته العلمية الكبرى بين كل مذاهب المسلمين.

مفاهيم إسلامية

التوكل على الله

من ضروريات الإيمان بالله هو التوكل عليه، وتتضح هذه الحقيقة إذا دققنا في معنى الإيمان، فإذا عرفت الله وعلمه وقدرته ورحمته اللامتناهية بعباده، ومعرفته لما يصلح حالهم وما يضرهم، فكيف لا تتكل عليه في أعمالك وتعتمد على غيره؟

التوكل على الله أمر يحكم به العقل والقرآن وأخبار أهل البيت (عليهم السلام)... و(إيكال الأمور إلى الله من أفضل المقامات التي يصل إليها الإنسان، ولا يصل الإنسان إلى هذا المقام إلا بعد جد وجهد، ولذا كثير من الناس - بل أكثرهم - لا يرون للتوكل معنى، أو لا يتمكنون أن يصلوا إلى هذا المقام)(١).

معنى التوكل (لغة)

توكل على الله: استسلم إليه، ووكّل إليه الأمر: سلمه وتركه، وتواكلوا: اتكل بعضهم على بعض(٢). وفي المصباح المنير للفيومي: وكلت الأمر إليه: فوضته إليه واكتفيت به، وتوكل على الله اعتمد عليه ووثق به واتكل عليه في أمره كذلك.

وفي أقرب الموارد: توكل على الله: استسلم إليه واعتمد عليه ووثق به(٣).

التوكل في القرآن الكريم

التوكل: إن تعتمد على غيرك وتجعله نائباً عنك.. قال تعالى: (وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً)(٤). أي اكتف به أن يتولى أمرك. وعلى هذا المعنى قوله تعالى (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل)(٥).

وقد تحدثت آيات كثيرة في الكتاب العزيز عن (التوكل) وحثّت المؤمنين على التوكل على الله العزيز. قال تعالى: (وعلى الله فليتوكل المؤمنون)(٦). وقال عز وجل: (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين)(٧) وقال:

١ - الفضيلة الإسلامية / السيد الشيرازي: ص ٤٣٢.

٢ - القاموس / المحيط / الفيروزآبادي / ج ٤ ص ٨٨.

٣ - ج ٢ ص ١٤٨٢.

٤ - سورة النساء: الآية ٨١.

٥ - سورة آل عمران: الآية ١٧٢.

٦ - سورة التوبة: الآية ٥١.

(وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده)(٨).

التوكل في الأحاديث الشريفة

في تفسير التوكل قال الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم): العلم بأن المخلوق لا يضر ولا ينفع، ولا يعطي ولا يمنع، واستعمال اليأس من الخلق، فإذا كان العبد كذلك، لم يعمل لأحد سوى الله ولم يرج ولم يخف سوى الله ولم يطمع في أحد سوى الله، فهذا هو التوكل(٩).

وقال الإمام علي (عليه السلام): الإيمان له أربعة أركان: التوكل على الله، وتفويض الأمر إلى الله، والرضا بقضاء الله، والتسليم لأمر الله عز وجل(١٠). وقال: التوكل خير عماد(١١)، والتوكل على الله نجاة من كل سوء، وحرز من كل عدو(١٢)، وفي التوكل حقيقة الايقان(١٣)..
وقال (عليه السلام): التوكل: التبري من الحول والقوة، وانتظار ما يأتي به القدر(١٤).

درجات التوكل

للتوكل على الله ثلاث درجات. الأولى: أن يكون حاله في حق الله والثقة بعنايته وكفالاته كثقته بالوكيل، وهذه أضعف الدرجات، ويكثر وقوعها ويدوم مدة مديدة...

الثانية: أن يكون حاله كحال الطفل مع أمه، فإنه لا يعرف غيرها، ولا يفزع إلا إليها ولا يعتمد إلا عليها، فإن رآها تعلق في كل حال بذيلها، وإن ورد عليها أمر في غيبتها كان أول سابق لسانه يا أمه..

والفرق بين هذا وسابقه، أن هذا متوكل قد فنى في موكله عن توكله، أي ليس يلتفت قلبه إلى التوكل، بل التفاته إنما هو إلى المتوكل عليه فقط، فلا مجال لقلبه لغير المتوكل عليه، وأما الأول فمتوكل بالكسب والتكلف وليس فانياً عن توكله، أي له التفات إلى توكله، وذلك شغل حارف عن المتوكل عليه وحده، وهذا أقل وقوفاً ودواماً في الأول، إذ حصوله إنما هو للخواص، وغاية دوامه أن يدوم يوماً أو يومين، وينافي التدبيرات، إلا تدبير الفزع إلى الله بالدعاء والابتهال، كتدبير الطفل في التعلق بأمه فقط.

الثالثة: وهي أعلى الدرجات، أن يكون بين يدي الله في حركاته وسكناته مثل الميت بين يدي الغاسل، بأن يرى نفسه ميتاً، وتحركه القدرة الأزلية كما يحرك الغاسل الميت، وهو الذي قويت نفسه ونال الدرجة الثالثة من

٧- سورة المائدة: الآية ٢٣.

٨- سورة الفرقان: الآية ٥٨.

٩- غرر الحكم.

١٠- قرب الإسناد / ص ٢٥٤ ح ١٢٦٨.

١١- غرر الحكم.

١٢- غرر الحكم.

١٣- غرر الحكم.

١٤- غرر الحكم: فقرة ١٩١٦.

التوحيد.. والفرق بينه وبين الثانية، ان الثاني لا يترك الدعاء والتضرع كما ان الصبي يفرع إلى أمه، ويصيح ويتعلق بذيلها ويعدو خلفها، وهذا ربما يترك الدعاء والسؤال ثقة بكرمه وعنايته، ومن هذا القسم توكل إبراهيم الخليل (عليه السلام) لما وضع في المنجنيق ليرمى به إلى النار، وأشار إليه روح الأمين بسؤال النجاة والاستخلاص من الله سبحانه، فقال (حسبه في سؤالي علمه بحالي) وهذا نادر الوقوع، عزيز الوجود، فهو مرتبة الصديقين(١٥).

عندما يكون الحديث عن التوكل يميل ذهن بشكل عادي إلى الأمور الدنيوية وإيكال أمرها إلى الله، في حين أن توكل المؤمن في جميع أموره الدنيوية والأخروية لا يختص بالحياة الدنيا، بل لأن الحياة الآخرة الأبدية هي أهم فإن واجب الإنسان أن يتوكل على الله لتأمين السلامة في الحياتين وخصوصاً الحياة الأخروية.. ومثلما يكون توكله على الله في الحصول على المنفعة ودفع الضرر، وإن الله هو الفاعل الحقيقي وراء كل سبب، وإن السبب لا يملك تأثيراً مستقلاً وإلا فإنه مشرك، فهو في الأمور المعنوية أيضاً التي تحصل يجب أن يتوكل على الله.

(وقد يزعم بعض الناس المفرطين: أن التوكل عبارة عن عدم التماس الأسباب، وهذا خيال وجهل، كما أنه قد يزعم بعض الناس المفرطين: أن التوكل لا معنى له إذ الدنيا دار أسباب، وهذا أيضاً جهل وزيف، فإن الأسباب ليست هي وحدها الموصلة إلى المسببات، وإنما هناك إرادة قوية فوق الأسباب هي المقررة للمصير) إن المؤمن يجب أن يكون من أهل التوكل، وهذا أمر يفرضه العقل، فالتوكل على الله واجب يفرضه العقل كذلك، لأن الأعمال كلها بيد الله، إذ يجب أن يكون الاعتماد على الله وهذه حقيقة تحتاج إلى مصداق، فلا يكفي أن يقول الإنسان بلسانه (توكلت على الله) أو (أفوض أمري إلى الله أن الله بصير بالعباد) بل مصداقه القلب والحال وسريرة الإنسان ليكون من المتوكلين..

(والتوكل بالإضافة إلى أنه أمر واقعي، وإن من الجهل عدم التوكل، فهو يوجب الارتياح وهدوء البال واطمئنان النفس)(١٦).

ثم التوكل باعتبار كونه ملكة من النفس تبعث على إيكال الأمور إلى الله - بعد تحصيل الأسباب اللانقة - يحتاج الإنسان في تحصيلها إلى المجاهدة، وإلا فالجزع والحزن هي الغالبة على الإنسان، في كثير من الأحيان، كما أن الكسل وعدم العمل والإهمال هي الغالبة على بعض الناس الذين يزعمون أنه التوكل، فاللزام على الإنسان أن يسلك السبيل الأوسط ويمارس هذا المسلك حتى يكون لديه ملكة، وهناك التوازن والاعتدال والاطمئنان وارتياح البال(١٧) وعلى ممارسي التغيير التوكل على الله سبحانه وتعالى في كافة أمورهم صغيرها وكبيرها حقيرها وجليلها، فمن يتوكل على الله فإنه يكفيه ما أهمه وفي القرآن الحكيم (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه)(١٨).

١٥ - جامع السعادات: ج ٣ ص ٢٢٣.

١٦ - الفضيلة الإسلامية: السيد الشيرازي: ص ٤٣٢.

١٧ - المصدر نفسه: ص ٤٣٣.

١٨ - سورة الطلاق: الآية ٢ - ٣.

كما أن التوكل على الله يسبب الاطمئنان وهدوء النفس وقد قال سبحانه (فإذا ذكروني اذكركم) (١٩) وقال تعالى: (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) (٢٠).

ومن المعلوم أن بيد الله سبحانه وتعالى قوى الكون كلها، وانه على كل شيء قدير.

فإذا لجأ الإنسان إلى الله وذكره على كل حال وتوكل عليه كفاه الأمور وأراه السرور.

وعليه يكون التوكل على الله تعالى سبباً لقوة الإنسان من ناحية، وموجباً للطف الله وعطفه عليه من ناحية أخرى مما يوجب الوصول إلى الهدف بإذن الله سبحانه وتعالى (٢١).

١٩ - سورة البقرة: ١٥٢.

٢٠ - الرعد: ٢٨.

٢١ - ممارسة التغيير: السيد الشيرازي: ص ١٢٦ - ١٢٧.

شاعر وقصيدة

صفي الدين الحلي

نسبه

هو أبو المحاسن عبد العزيز بن نجم الدين سرايا بن علي بن أبي القاسم الحسين بن سرايا السنبسي. وسنبس بطن من بطون القبيلة العربية المشهورة (طيّ). ولد في الحلة سنة ٦٦٧ هـ (١٢٤٧ م) وقد نشأ وشب فيها. كانت عائلته من العوائل الوجيّه والغنيّة في الحلة، ولذلك نشأ في بيئة مترفة، وتعلم الفروسية والرماية والصيد، فكان فارساً شجاعاً، مقداماً في الحروب. ولما اضطرب الأمر في الحلة، وشبت فيها نار الفتنة، ووقعت فيها حروب بين أهل هولاءكو لأجل العرش، وجد صفي الدين - وهو الشاب الفتى - نفسه في وسط هذه المعمة، بعد أن قتل خاله غدرًا في مسجده، فساهم في هذه المعارك طالباً الأخذ بثأر خاله. وحرص أهالي الحلة على خوض غمار هذه الحروب.

رحيله عن الحلة

وجد صفي الدين نفسه بعد فترة محاصرة في هذه الفتنة، فاضطر إلى الرحيل والالتجاء عند ملوك آل أرتق في ماردين، واتصل بالملك المنصور نجم الدين أبي الفتح غازي. كان الأرتقيون - حكام ماردين - في ظل السيطرة المغولية، ولما ذهب السلطان غازان المغولي لفتح الشام، كان الملك المنصور معه، ولكنه كان يناصح سرًا الملك محمد بن قلاوون ملك مصر. وإذا كان المغول في ذلك الحين هم حكام العراق فعلاً، فإنهم لم يكونوا كذلك فيما نأى من الأطراف كماردين التي كانت سيطرتهم عليها سيطرة غير عملية. والأرتقيون وإن كانوا أتراكاً إلا أنهم كانوا يستجيدون الشعر العربي ويستنشدونهم ويطلبون للمدائح، ولا غرابة في الأمر فقد كانت الثقافة العربية واللسان العربي هما الساندان، لذلك استقبل صفي الدين في البلاط الأرتقي استقبالاً حافلاً، واحتضنه الملك المنصور وأكرمه غاية الإكرام. وبعد وفاة الملك المنصور كان صفي الدين في رحاب ابنه الملك الصالح، على ما كان عليه في عهد أبيه من إكرام وحفاوة.

أسفاره

امتهن صفي الدين التجارة، ومكنت له هذه المهنة من التنقل في بلاد المسلمين، فتعرّف على أمير حلب، وأمير حماه الملك إسماعيل. وسافر كثيراً إلى دمشق، ومنها إلى مصر، وتعرّف هناك على الشاعر جمال الدين محمد بن نباتة، والكاتب المؤرخ صلاح الدين الصفدي، والقاضي علاء الدين بن الأثير كاتب السر وهو الذي

قدّمه للملك الناصر محمد بن قلاوون. فعنى الملك به وأكرمه، وطلب إليه أن يجمع ديوانه، وله في الناصر المدائح الطوال.

عاد من مصر إلى ماردين ثم إلى بغداد، وتوفي فيها سنة ٧٥٢ هـ (١٣٣٢ م).

مؤلفاته

له مؤلفات عديدة هي:

١ - الأغلاطي: وهو معجم للأغلاط اللغوية التي يقع فيها الكتاب والأدباء.

٢ - وصف الصيد بالبندق.

٣ - العاقل الحالي.

٤ - الأوزان المستحدثة.

٥ - رسالة الدار والغار.

٦ - ديوان صفوة الشعراء و خلاصة البلغاء.

٧ - الدر النفيس في أجناس التجنيس.

تشيعه

كان صفي الدين الحلي شيعياً، عارفاً بحق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وبنيه (عليهم السلام)، معرفة مرتكزة إلى الإيمان الصادق المخلص، وكيف لا يكون كذلك وقد شب في الحلة. والحلة حينذاك كانت مدرسة آل البيت (عليهم السلام) في الفقه والعقائد، وكانت تشد إليها الرحال لطلب العلم على يد العلامة الحلي والمحقق الحلي وغيرهم من فحول علماء الشيعة، حيث كانت تقام حلقات الدروس ونوادي الفكر والقلم. تتلمذ صفي الدين على العلامة نجم الدين جعفر بن الحسن المعروف بالمحقق الحلي (قدس سره) في الفقه والعقائد والتفسير والحديث. كما حفظ القرآن الكريم، وبقية العلوم الإسلامية الأخرى، كاللغة والفلسفة وما يستتبع ذلك من شتى المعارف.

التشيع في شعره

ولقد برز التشيع في شعره بصورة واضحة، ففي آل البيت (عليهم السلام) يقول:

وَألك الغرر اللّالي بها عرفت سبيل الرشاد فكانت مهتدى الفرق

ويقول أيضاً:

حديث حبي لكم سائر وسرور ودي في هواكم مقيم

قد فزت كل الفوز إذا لم يزل صراط ديني بكم مستقيم

وله قصيدة تدل على معرفته بصفات أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول:

جُمعت في صفاتك الأضداد فهذا عزت لك الأنداد

زاهد حاكم حليم شـجـاع	ناسك فاتك فقير جواد
شيم ما جُمعن في بشر قط	ولا حاز مثلهن العباد
خلق يَجَلُّ النسيم من اللطف	وبأس يذوب منه الجمد
ظهَرَ منك للورى معجزات	فأقرتْ بفضلك الحساد
أن يكذب بها عداك فقد كذ	ب من قبل قوم لوط وعاد
أنت سر النبي والصنو وابن الد	عم والصهر والأخ المستجاد
لو رأى مثلك النبي لآخا	ه وإلا فأخطأ الانتقاد

وله قصائد كثيرة يعبر فيها عن حبه وولائه لأهل البيت (عليهم السلام).

شاعريته

يعتبر العصر الذي عاش فيه صفي الدين الحلي بداية عصر الانحطاط للأدب العربي. فعندما غزا المغول العراق واحتلوا بغداد، أزلوا عنها كل معالم الحضارة، من سياسة واجتماع واقتصاد، فارتدى العراق وكذلك بقية البلدان الإسلامية حلية الضياع والتخلف وفقدان الأمن.

وبالطبع فإن هذا الأمر قد شمل الأدب العربي فنزل إلى مرحلة الانحطاط، وهذا ما نراه جلياً في نظم أغلب شعراء ذلك العصر. ولذا سُمي بـ (عصر الانحطاط). وعلى الرغم من ذلك فقد برز على الساحة الأدبية بعض الشعراء، منهم شاعرنا صفي الدين الحلي. والذي يعتبر أبرز شعراء ذلك العصر، والمتقدم فيهم. لقد ظهر في ذلك العصر الكثير من شعراء الاستجداء الذين يرتزقون من شعرهم، ولكن شاعرنا صفي الدين ترفع عن ذلك. وقد أوضح - عندما ألف ديوانه - نظريته إلى الشعر والشعراء، فقال:

(وبعد، فإني كنت - قبل أن أشب عن الطوق وأعلم ما دواعي الشوق - بهجاً بالشعر نظماً وحفظاً متقناً علومه معنىً ولفظاً، واقعاً بسبك القريض كارهاً للكسب بالتقريض. إذ كان ديدني، ألا أمسح يد دني، وأن أفرّ من العادة الخسئاء ولو من العادة الحسناء. وأعدُّ الشعر من أدب الفضائل وأحقر الوسائل، فكنت أستره ستر المحارم، وأعدُّ البخل به من المكارم. وعزمتُ ألا أجمع لي منه كتاباً، ولا أدون منه باباً... ومزق شمله المدعون كل ممزق، وكنت عاهدت نفسي ألا أمدح كريماً وإن جلّ، ولا أهجو لئيماً وإن ذلّ، وذلك للتنزه عن التشبه بذوي السؤال، والترفع عن التتبع لمثالب الرجال، فكنت لا أنظم شعراً إلا فيما يوجب لي ذكراً أو يجلب لي شكراً).
وفعلاً فقد التزم صفي الدين بما ألزم به نفسه، ولذا نراه يتأبى عن مدح الملك المؤيد إسماعيل صاحب حماه، وأما ما فعله من مدحه للملك المنصور - ملك الأرتقيين - والملك الناصر محمد بن قلاوون، فذلك لأنهم آووه وحاموه، فكان ذلك بمثابة رد الجميل.

شعر الوصف عند صفي الدين

اشتهر صفي الدين الحلي بوصف ما كان يراه في حِلِّهِ وترحاله من أحوال الطبيعة المختلفة في البلدان الإسلامية، ويذكر ما فيها من تراث قديم.
ففي مصر وصف النيل والسفن الجارية فيها والاهرامات. وفي ماردين وصف الشتاء والمطر، والقلاع

والحصون، كما وصف أيضاً المعارك والأهوال. وفي دمشق وصف الرياحين والآجام. وفي حماه وصف نهر العاصي.

وكذلك برز صفي الدين في بقية أنواع الشعر وتصانيفه. كما اشتهر بقصائده التي سميت الأرتقيات، التي مدح بها الملك المنصور نجم الدين أبا الفتح غازي، وهي تسع وعشرون قصيدة، كل قصيدة منها تسعة وعشرون بيتاً على حرف من حروف المعجم بدأ كل بيت منها به، وبه ختمه، وسماها (درر التمرور في مدائح الملك المنصور) كقوله:

أبت الوصال مخالفة الرقباء	وأنتك تحت مدارع الظلماء
أذقك من بعد الصدود مودة	وكذا الدواء يكون بعد الداء
وإذا كانت القافية بانية كانت أوائل الأبيات كذلك:	
بدت لنا الراح في تاج الحبيب	فمزقت حلّة الظلماء بالهيب
بكر إذا زوجت بالماء أولدها	أطفال درّ على مهد من الذهب

الأقوال فيه

يقول كرم البستاني في وصف الشاعر وشعره: (كان في شعره كثير من التصنع والتكلف لأنواع البديع والألغاز، ولا بدع فتلك ميزة عصره، وقد نظم قصيدة في بحر البسيط عدد أبياتها مئة وخمسة وأربعون بيتاً، سماها (الكافية البديعية في المدائح النبوية) جمع فيها أنواع المحسنات اللفظية والمعنوية. وفتح بها طريق نظم البديعيات لمن جاء بعده، هذا عدا ما تكلفه من نظم قصائد حروفها مهملة أو معجمة أو خليط ما بين معجم ومهمل.

ولعله أول شاعر من شعراء عصره تفنن في أوزان الشعر فنظم موشحات منها ما اتّبع فيه، ومنها ما ابتدعه، فجاء بشيء جديد في تلك الأيام التي سادها التقليد. وله قصيدة ظريفة تدل على نفوره من الألفاظ الغريبة التي يمجّها الذوق... إلى أن يقول:

ومهما يكن الأمر، فصفي الدين أشعر شعراء عصر الانحطاط، وقبس متقد فيهم، وشعره قويّ السبك رائق الديباجة لم ينحط فيه إلى العامي والمبتذل شأن متشاعري ذلك العصر).

وفي أمل الأمل: (كان عالماً فاضلاً منشئاً أديباً من تلامذة المحقق نجم الدين جعفر بن الحسن الحلبي له القصيدة البديعية - مائة وخمسة وأربعون بيتاً - تشتمل على مائة وخمسين نوعاً من أنواع البديع، وله شرحها وديوان شعر كبير، وله قصائد محبوبكات الطرفين).

وفي حديقة الأفراح: (مناهل ألفاظه العذاب صافية من شوائب التعقيد، ورياض معانيه ينشرها الالباب شافية لمن كرع من بحرها الرائق المديد. كان من الشعراء الجيدين المطبوعين وله في شعره احتجاجات على تفضيل علي (عليه السلام) وتقديمه تدل على علمه وفضله، كقوله:

لو رأى مثلك النبي لآخا ه وإلا فأخطأ الانتقاد

وكان شاعر العصر وفاضل الوقت السيد محمد سعيد الحبوبى النجفي يعجب بشعره كثيراً ويفضله على كثير

من الشعراء، وحسبك بشهادة مثله. وصفي الدين الحلبي هو أول من عمل القصائد المحبوكات وسماها (الأرتقيات) وقصيدة البديعية في مدح خير البرية - وشرحها مطبوع - وسماها أنوار الربيع في أنواع البديع).

نزار مصطفى

المصادر

١ - أعيان الشيعة.

٢ - نسمة السحر فيمن تشيع وتشعر.

٣ - ديوان صفي الدين الحلبي.

ركن الأسرة

التأثر والتأثير في مرحلة الشباب

عبد السلام الرفاعي

المرحلة الأساسية في حياة الفرد

لا يخفى أن أفراد المجتمع الإنساني يعيشون مراحل مختلفة متسلسلة تبدأ بمرحلة الطفولة، ثم مرحلة الشباب، وأخيراً مرحلة الشيخوخة. وكل مرحلة من هذه المراحل تعتمد على سابقتها. فهي كالبناء، جدرانه تعتمد على الأساس القوي المتين، وسقوفه تعتمد على استقامة ومتانة الجدران، والتي تعتبر أعمدة أساسية لسلامة الدار وبقاءها على مر الزمن.

وما نريد الإشارة إليه - هنا - من هذه المراحل الثلاث المذكورة أعلاه، هو المرحلة الوسط وهي (مرحلة الشباب) وبداية النضوج الجنسي والعقلي والفكري، باعتبارها مرحلة أساس في تقويم المجتمع وسلامة بنائه، كونها العمود الفقري الذي تستند عليه الأمة في كافة تطلعاتها السياسية والاجتماعية والثقافية لما لها من روح الحيوية والنشاط وسرعة التأثر والتأثير في كافة أوساط المجتمع.

ومرحلة الشباب هذه مرتبطة بما قبلها وما بعدها من المراحل المذكورة ارتباطاً وثيقاً، وتكاد تكون جزءاً لا يتجزأ من مرحلة الطفولة. مثلاً سلامة الإنسان في طفولته هي بكل تأكيد سلامة له في مرحلته المقبلة ما لم يتعرض بعض العوامل والتي ربما تؤثر في شخصيته وتغير من منهجيته في التعامل والعطاء وطبيعة العمل بصورته المطلوبة..

فيعتبر الإنسان في طفولته ورقة بيضاء قابلة لتلقي أي أثر يحاول تحسين صورتها أو تشويهها، فهو تبعاً لإمكاناته العقلية في فهم الأشياء وطبيعة ما يدور، ثم ينتقل إلى مرحلة الشباب حاملاً معه كل آثار الطفولة مهما كانت سلبية أو إيجابية في بنائه وتكامله...

وفي هذه المرحلة يبدأ معه النضوج الجسدي والفكري ومعرفة حسن الأشياء من قبيحها والتمييز بين الخطأ والصحيح خلال مرحلته الحركية في دائرة الحياة، فيكون على احتكاك مباشر أو غير مباشر مع المجتمع بكافة طبقاته وأشكاله، بإيجابياته وسلبياته، بظروفه القاهرة أو المرنة المساوقة لطبيعة مسيرته الحياتية، فتبدأ مرحلة جديدة من التربية والتعلم والتطبع بطبائع المجتمع ثم التغيير على أساس ذلك...

فالشباب هو ك (لعبة) واقعة تحت تأثير بعض العوامل ذات التحريض والإثارة، ودوره هنا كدور المرأة في عكس متغيراتها بصورة أو بأخرى، بحيث تقيد هذه العوامل إلى درجة يكون أحياناً عبداً لها ما لم يتدخل عنصر آخر في تخفيف الأزمة ومحاولة الالتفاف على الواقع بصورة تمكنه من فك قيوده عن طريق التفكير والتأمل ومعرفة الحكمة في طبيعة التعامل مع الأشياء.

ذلك العنصر هو العقل الذي ما وجد إلا ليبيّن مساوئ الانصياع وراء تلك المؤثرات، وبالتالي لا يجعل لها أثراً

في نفسه يقوده إليها، أو محاسن الانصياع، فيمنحه حينئذٍ القدرة والكفاءة والأهلية للسيطرة على ردود فعله، وبالتالي توجيهه إلى ما هو أفضل لرفد مسيرة حياته بما هو نافع على المستوى الفردي والجماعي.. والعقل هو مَنْ جعل الله على أساسه محاكمته العادلة لكافة عبادته في اليوم الآخر، وكثيراً ما وجّه سبحانه وتعالى استفهاماته الإرشادية في هذا المجال وللمجتمع كافة حيث قال تعالى: (أفلا تعقلون)(أفلا تتفكرون).. حرصاً منه على بيان الوسيلة الأساسية في تسيير الناس وقيادة الإنسان نحو الصلاح باعتباره الخليفة على الأرض...

دور الحرية في مرحلة الشباب

وكيفما كان دور الفرد في المجتمع فهو يجد نفسه - في أغلب الأحيان - في حالة من الترقب المهيأة لتلقي أي اقتراح، وحالة صراع تقوده نحو ذلك ربما تؤدي إلى تقبله ذلك والعمل على أساسه، أو لا. فقد يرفضه ربما لأسباب لا تتلاءم وطبيعة تعامله مع المحيط... وما نراه اليوم من اختلاف في الطبائع وانقياد نحو عادات وتقاليدها جاهلية تخيم على الكثيرين من هذه الطبقة اليافعة - الشباب - هو حالة من حالات الانحراف والابتعاد عن المسار العقلي والاتجاه صوب النزوات والغرائز والشهوات ذات المصير المجهول والطريق المظلم الغير معبد بما هو واقعي ومرغوب حقيقة لدى المجتمع. فكثيراً ما تميل النفس إلى الحرية والاستقلال والابتعاد عن القيود ولكن ليس بالمستوى المؤدي إلى الانحلال والسقوط، فيرى الشاب أن مخاطبة العقل والاحتكام له في الكثير من الأفعال تؤدي به - بالنتيجة - إلى فرض قيود على شهواته ورغباته.

مخاطبة عقل الشباب

وأما طرح العقل جانباً ومخاطبة هوى النفس، فيتصوره هو الطريق الأسلم البعيد عن كل ما يقيد روحه ونفسه ويحمله إلى إشباع رغباته، ومن ثم يجعله قريباً من المنزلاقات العاطفية وغير العاطفية وبعيداً كل البعد عما يرسم له الدور الصحيح والمبرمج لمسيرة الاستقامة والصلاح.. ونتيجة لكل هذا وذاك نرى بعض الشباب أسرى لبعض العادات والتقاليد الذميمة، فهم يسلمون أنفسهم لعادات مضرّة لا يدرون من خلالها بأنهم يقيدون أنفسهم بقيود ربما لا يمكنهم - أو يصعب - النجاة منها، وذلك لتصورهم أنها أمور بسيطة غير مؤثرة على الفرد والمجتمع بسبب ابتعادهم عن جادة الصواب وعدم تحكيم العقل وعدم الاطلاع على الأضرار والنتائج التي تحصل على أثر ذلك الانصياع الخاطئ.. وعدم الاطلاع هذا ناشئ من حالة الغفلة أو الجهل المتعمّد لانغماس الشباب في تفاهات مختلفة يتصورونها - زوراً - أنها ضرورة من ضرورات العصرنة والتطور، وحالة من حالات التجديد في ثقافة الإنسان. فأَيّ تطوّر تجاه تشبّه الرجال بالنساء - مثلاً - أو العكس، وقد حرّم الإسلام مثل هذه الحالات ونبذها لما تضفيه من مساوئ على المجتمع والأمة بتمامها؟! وأي رقيّ مع شرب الخمر وذهاب عقل الإنسان وانعدام قدرته على التفكير والعمل في هذه الحياة المتنشعبة في مواضعها ومشاكلها؟! وكيف من الممكن الحفاظ على تكامل النسل البشري من حالات الزنا والاعتداء على الحرمات، بدون أي

رأى يقوم هذه الأمور إلى جانب الاستقامة والرشاد؟

وما نراه من تفشي الكثير من الأمراض الجنسية والتي تفتك بالعشرات من الأطفال والنساء والشيوخ - لا لسبب إلا لإرضاء تلك الشهوات المريضة والرغبات الفارغة كأمراض الأيدز وغيرها مما يصعب علاجها أو السيطرة عليها - إنما هو نتيجة حتمية للابتعاد عن جادة الصواب بحجة التطور والحداثة والثقافة والحرية!!

لذا كان حري بالمجتمعات أن ترجع أدرجها وتحكم إلى العقل والتفكير السليم في النتائج المتسببة عن أي عمل ممكن أن يجر الحياة إلى عصر الجاهلية، ويعرض أطفال المجتمع إلى المرض والموت، ويجعل من الشباب - تلك الطليعة الأساسية لبناء المجتمع - شيوخاً عاجزين عن أداء أبسط مهمة تسمو بهم إلى ما فيه الخير والطمأنينة والأمان... وفي المجتمعات الإسلامية بصورة خاصة تكون هناك مسؤولية كبيرة على عاتق الجميع، فإن تملك زمام الشباب لا يكون إلا بجذب بناء صحيح في العقيدة والعمل بحيث يوفر للشباب من الجنسين العمل في قبال البطالة والعلم والدراسة في قبال الجهالة، والسكن والمسكن والعلاج الصحي والحماية وغيرها في قبال عدمها فإن الفوضى وكثرة الأعداء جعلت من بلاد الإسلام في الحال الحاضر ما ترتطم في مشاكل لا حد لها ولا حصر لأسباب كثيرة منها عدم توفير هذا الأمر بعدم أخذ العقلاء أزمة الشباب.

المصادر

- ١ - ما يهم الشباب - ناصر مكارم الشيرازي.
- ٢ - الإسلام ومتطلبات التغيير الاجتماعي - محمد حسين طباطبائي.
- ٣ - الشباب - الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي.

ركن الأسرة

الطفولة.. مرحلة البناء والتأسيس

عهود الشاهين

تُعتبر الطفولة مرحلة خطيرة جداً من حيث تهيئة الطفل للحياة، وبلورة شخصيته والتي تبدأ منذ الأيام الأولى لولادته. وتنصح بعض الدراسات النفسية والتربوية الأم بأن تحدث ابنها منذ الأشهر الثلاثة أو الأربعة الأولى، وتحاكبه باستمرار حتى عندما تقوم بتغيير ملابسه أو عند استحمامه، وأن يكون الطفل قريباً منها وهي تعمل في المنزل، وذلك لأن التحدث من قبل الأم مع طفلها يساعد في تكوين شخصيته ويشعره بنفسه ومكانته، ويثير فيه اندفاعاً للتجاوب مع ما سمعه. وهذا لا يحدث دفعة واحدة وإنما ينمو باطراد وتزايد كلما بذلت الأم جهوداً أكثر لتسريع هذه العملية وتنمية قدرات الطفل بالمراس والتدريب. ويفضل أن لا يخاطب الأهل الطفل بلغة مشوهة وبالطريقة التي ينطق هو بها، بل بكلمات سوية صحيحة كما لو أنهم يخاطبون راشداً، فهذا أسلم للغة الطفل ولشخصيته..

إن لغة الخطاب الوحيدة التي يستعملها الطفل في أيامه الأولى هي البكاء، فهي الوسيلة الوحيدة التي يفهمها الطفل... (إنه يبكي) عند منتصف الليل وتستيقظ الأم متوترة الأعصاب لا تدري ماذا تفعل لتسكت طفلها الذي يصرخ تاركاً العنان لصوته ليمزق هدوء الليل وسكونه. وبكاء الطفل هو مشكلة الأم، إذ تحاول إسكاته إما بالرضاعة أو إعادته إلى النوم، وقد لا يرغب لا بهذا وبذاك... إن البكاء في هذه المرحلة يعتبر اللغة الوحيدة لتبليغ رسالة الطفل إلى أمه والتحدث إليها...

والحقيقة أنه ليس هناك سبب واحد للبكاء، ولكن الدراسات أثبتت أن بين الأم والطفل ثمة ما يمكن تسميته بـ(حبس السرة السمعي) الذي يتمثل في عدّة أنواع من البكاء يختلف كل نوع حسبما يعانيه الطفل ويمكن الإشارة إلى أهمها:

(النوع الأول) هو الصراخ الأساسي ويسمى صراخ الجوع... ويعني ذلك بالنسبة للطفل الشيء الكثير. وهو الأكثر شيوعاً ويتألف من صيحات تدوم كل صيحة تقريباً ثانية واحدة، يتبعها تنفس يدوم خمس الثانية ثم لحظات استراحة قبل استئناف البكاء مرة ثانية...

أما (النوع الثاني) من البكاء فهو صراخ الغضب.. وهذا يميزه حدة الغضب الكامن وراء صراخ الجوع، ويكثر هذان النوعان من الصراخ عند الطفل، ويسهل للأُم أن تميزهما.

و(النوع الثالث) من البكاء هو صراخ الألم، وهو يختلف عن النوعين السابقين حيث يميزه البكاء المتقطع بسبب التنفس القصير الذي يسبق صرخة الألم..

وهناك أنواع أخرى منها بكاء الحرمان. وعلى الأم أن تميز بين أنواع البكاء كي تفهم منه ما يريد لتتعاطف معه وتلبي رغباته ولا تدعه يبكي طويلاً وخاصة في هذه المرحلة. والفكرة القائلة بأن يُترك الطفل يبكي فكرة خاطئة لأنه يسبب للطفل تراكمات نفسية لا تشعر بها الأم إلا مع تقدم السن عند الطفل. وكذلك ينبغي أن يكون

بين الأم وبين وليدها نوع من التفاهم والانسجام النفسي بحيث لا يتعود الطفل على البكاء لفترة طويلة إحساساً منه بعدم مبالاة الأم له، وبالتالي ينشأ نوع من العناد غير المقصود من قبل الطفل لعدم شعوره بالاطمئنان وبتفهم أمه له.

إن مراحل التطور العاطفي والثقة الأساسية تبدأ منذ الولادة وحتى ثمانية عشر شهراً. ويعتمد التطور الناجح للثقة على الرعاية المتواصلة للأم التي تلبي المتطلبات العاطفية والسيولوجية للوليد، لذلك على الأم أن تنشئ رابطة قوية بينها وبين وليدها منذ الأيام الأولى عن طريق المحاكاة والمناغاة والاستجابة لرغباته.. فالنمو الجسدي للطفل في الواقع يمكن أن يعاق بدرجة كبيرة إذا لم تتم تلبية حاجات الطفل العاطفية من قبل الأم، إذ يوجد مرض يدعى (متلازمة الحرمان الأمومي) ينسب إلى الأم وتلعب الهرمونات الدور الأساس في حدوثه، حيث يتسبب في نقصان وزن الطفل فيبدو الطفل المصاب أصغر من سنه الحقيقي وبذلك يعاق نموه الجسدي والعاطفي.. وكذلك يظهر بشكل آخر كنقص الثقة الأساسية وهذا ما يحدث في الأسر المتحللة والمتفككة أو عند الأطفال الذين يتركهم آباؤهم في بيوت للتربية.

المرحلة الثانية من الطفولة

بعد ذلك تبدأ مرحلة أخرى لتطوير شخصية الطفل، ونعني بها الاستقلال وهذه تبدأ منذ الشهر الثامن عشر حتى ثلاث سنوات. ففي هذه المرحلة يبدأ الطفل حالة جديدة من التطور العاطفي، وينتقل الطفل فيها من الاعتماد على الأم إلى الرغبة في عمل الأشياء بنفسه. وتعتبر هذه المرحلة خطرة في تكوين الشخصية المستقلة للطفل، فعلى الأم مراقبته من بعيد دون أن يشعر بها، وعدم التدخل الكلي في خصوصياته، وإعطاؤه الفرصة في عمل ما يريد والاعتماد على نفسه في بعض الأمور.

وعلى الأم مراقبته في الأمور الصعبة دون منعه من أدائها، فهذا يعطيه الفرصة في تكوين سلوك مستقل له لكي يطور ثقته بالمحيط. لهذا على الأم أن تتعامل بحذر شديد مع الطفل، لأن فشل الطفل في تحقيق ذاته وإحساسه بمراقبته له باستمرار، سينعكس عليه بصورة أو بأخرى مؤدياً إلى فقدان ثقته بنفسه وبقدراته على تحقيق ما يريد بنفسه ودون تدخل الآخرين. وذلك ما يدعوه إلى الشعور بالخجل والنقص وفقدان الثقة. وهذا سيلزمه حتى الكبر، فيعتقد دائماً أنه غير قادر على مواجهة الأمور لوحده وبدون تدخل الآخرين، وبذلك ينشأ متردداً ضعيف الشخصية.

بعد أن تحدثنا عن المرحلة الأولى والثانية والتي تعتبر فترة مهمة وحساسة في مراحل عمر الطفل، ننتقل إلى المرحلة الثالثة التي تبدأ من السنة الثالثة حتى السنة السادسة، أي مرحلة ما قبل المدرسة.

فمتى ما استطاعت الأم تربية طفلها تربية صحيحة خلال هذه المرحلة تجاوزت مشكلة مهمة جداً يعاني منها أغلب الأطفال وهي الخوف من المدرسة. لذلك تعتبر هذه المرحلة استمراراً للمرحلتين السابقتين في تطوير استقلالية أكبر مع نشاط أكبر حيث نلمس عند الطفل فاعليات أكثر، من حركة وفضول في طرح الأسئلة، وكلام متتابع ومحاولة جذب الآخرين له بشكل أو بآخر، أما عن طريق حركات مصطنعة أو سرد حكايات من الخيال وغيرها.

وعلى الآباء في هذه المرحلة توجيه هذا النشاط بصورة صحيحة، ومحاولة التعرف على قابليات الطفل

ومهاراته وهواياته كي يتسنى تنميتها والمساهمة في تحقيقها. ولكن يجب أن يفهم الطفل بأن ليس كل ما يريده قابل للتحقيق، وذلك بالرفق واللين من الكلام وليس بالتأنيب والضرب، لكيلا ينشأ الطفل والشعور بالذنب يرافقه مما يؤثر على تصرفاته وبالتالي يحد من نشاطاته ويشعر دائماً بالإحباط والفشل، ويؤدي ذلك إلى الانطواء وعدم استغلال إمكاناته التي يمكن تطويرها.

مرحلة المدرسة

يختلط الطفل في مرحلة المدرسة بالآخرين حيث يبدأ باكتساب المهارات الاجتماعية والمدرسية بحيث يمكنه التآلف مع البيئة الجديدة التي يعيشها مع رفاق من عمره، ويتعلم الطفل قوانين مجتمعه وأخلاقياته وعاداته. وهذه المرحلة تبلور له بعض الأمور التي لم يكن يعرفها وهو يعيش مع المحيط الضيق السابق الذي يتمثل بالمنزل مع أمه وأبيه وإخوته. فيتعلم هنا كيفية التعامل مع الآخرين وأي الأساليب يمكن اتباعها لاكتساب ثقة ومحبة الآخرين، ويدرك أن هناك أعمالاً لا يمكن إنجازها بمفرده بل لا بد من التعاون مع الآخرين لتحقيقها. وفي هذه المرحلة يضعف تأثير الأهل كنماذج للطفل ويزداد تأثير الأقران والأصدقاء والمعلمين في المدرسة، كذلك تظهر بعض الفروقات في مستوى تقبل الأطفال للدروس وينشأ عنده شعور يطلق عليه (الشعور بالدونية) وذلك نتيجة هذا التفاوت حيث يلاحظ أن بعض أقرانه يستطيعون أداء واجباتهم المدرسية لوحدهم وبمقدورهم أن يفهموا الدرس. لذلك يجب أن يتدخل الأهل في خلق جو من التحديات التي يمكن للطفل أن يقابلها ويتجاوزها وبالتالي يستطيع أن يحقق النجاح والثقة بالنفس.

وبالإضافة إلى التربية المدرسية، على الأهل تربية الطفل تربية دينية مثلاً، سرد القصص المبسطة عن سيرة الأنبياء والأئمة والصالحين، والتحدث عن أخلاقيات المسلم ومساعدته للآخرين والتسامح والتعاون وغيرها من الأمور التي تحاول أن تغرس في الطفل المبادئ والقيم والأخلاق الكريمة. وهذا يساعدنا كثيراً لتهيئته نفسياً وذهنياً لمواجهة المرحلة القادمة والتي تعد من أخطر المراحل وهي مرحلة المراهقة.

مرحلة المراهقة

تبدأ مرحلة المراهقة منذ سن الثانية عشرة إلى الثامنة عشرة. وهذه المرحلة خطيرة في عدة أمور منها النمو الجسمي المطرد، وكذلك التطور النفسي والاجتماعي، حيث يكتسب الفرد شخصيته الخاصة وشعوره بالانتماء لمجموعة أكبر، وإدراكه أنه بإمكانه التفاعل مع وسط خارج وسط عائلته.

إن المراهقة فترة معقدة لأنه يتم فيها النمو الجنسي للإنسان، مما يجعلنا في موقف صعب إزاء هذه المرحلة ويجب التعامل بحذر شديد مع المراهق في سبيل بلورة شخصيته على الشكل الصحيح ودون إثارته والاستهزاء بقدراته وإنما بإعطائه الثقة بتصرفاته. ولا يصح التدخل في كل شؤونه وتوبيخه إذا ما أخطأ، لأن ذلك يشعره بالخجل وبالتالي عدم الثقة بنفسه ويكون متذبذباً في آرائه وغير قادر على اتخاذ القرار بنفسه.

وهنا يبرز العامل الديني في تحديد كيفية تعامل المراهق مع الجنس الآخر، لأنه إذا ما نشأ الشاب أو الفتاة نشأة دينية صحيحة يسهل عندئذ على الأهل توجيههم كما يسهل على الأبناء التخلص من كافة الضغوطات النفسية.

وبالختام يجب أن نتفهم من خلال هذه المراحل المختلفة كيفية معاملة أطفالنا حسب أعمارهم والتطور العقلي والجسمي لهم حتى نصل إلى شاطئ الأمان والطمأنينة، لتقديم جيل متكامل الشخصية قادر على مواجهة صراعات الحياة من جهة، وبناء مجتمع سليم من جهة أخرى.

ركن الأسرة

المرأة في الإسلام

حامد السعيدى

المرأة عبر التاريخ

عاشت المرأة حياتها في منظومة اجتماعية قاسية، ابتداءً من المجتمعات البدائية إلى المجتمعات المتقدمة وحتى المجتمعات الحديثة. وكانت المرأة في جميع تلك المراحل أشبه بسلعة يتعامل بها. فهي مثلاً في المجتمعات القديمة لا تزوج حتى يأذن سيد القبيلة، وكانت معدومة من حيث القيمة الاجتماعية، لا رأي لها ولا طاعة فضلاً عن تأثيرها في المجتمع.

وكان المجتمع العربي القديم يتعالى عن ذكر اسمها لأنها - بنظرهم - عيب وعورة لابد من ستره. وقد تكون مُشاعة بين عدة رجال فهي زوجة لأكثر من واحد. يقول بعض الباحثين: كانت عند هؤلاء عادة معروفة، وهي أن عدداً من الأقارب - وغالباً من الإخوان - كانوا يتخذون لهم قعيدة مشتركة، أي زوجة مشاعة بينهم فكان الأولاد لا يعرفون آباءهم ولم يكن في الإمكان معرفة نسبهم على الوجه الصحيح.

وذكر الباحثون جملة أمور مستنداً بها إلى شيوع الأمومة عند العرب وعند جميع الشعوب السامية وإنهم عرفوا بالطوطية (Fatfismns) المأخوذة تسميتها من جنوب أمريكا الشمالية (٢٢).

ومع ذلك نجد العرب اهتموا بالنسب وارتبطوا بالأب دون الأم مع ما كان فيهم من ينسب إلى الأم وكانت المرأة في المجتمع العربي مبتذلة ورخيصة لدرجة أنه كان من تولد له بنت يندها في التراب خوفاً من العار والشنار لذلك يقول شاعرهم:

من غاية المجد والمكرمات بقاء البنين وموت البنات

ويشير القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى: (إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ، يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ؟ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ؟ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) (٢٣).

إن المرأة في منطق المجتمع العربي الجاهلي لا حق لها من الرأي ولا تعرف عن مصلحتها شيئاً، فإذا تقدّم ابن عمّها لخطبتها ودفع مهرها، فلا حق لها أن ترفضه كأنناً ما كان. وكذلك الأمر بالنسبة لميراثها وملكها الشخصي، فإنها لا ترث من أبيها ولا من زوجها إلا الشيء الزهيد. وهذا ما ألغاه القرآن الكريم (٢٤).

كل ذلك يدل بوضوح على أن القانون المحلي لتلك الشعوب كان يجرّد المرأة من حقها في القانون وبلغ دورها وموضوعها من لائحة الدستور، ولذا كانت المرأة معدومة من حيث الممارسة والتأثير في أعراف تلك

٢٢ - نقلاً عن المرأة والأسرة في حضارات الشعوب وأنظمتها.

٢٣ - سورة النحل: الآيتان ٥٧ - ٥٨.

٢٤ - المرأة والأسرة في حضارات الشعوب.

حق المرأة في الإرث

إن من يطالع حضارات الأمم القديمة يجد أن المرأة لم تكن تتمتع بحقوقها المالية الشخصية وخصوصاً مسألة الإرث، فهي لا ترث شيئاً، وإن حصلت على شيء فإنه لا يكاد يذكر. فالعالم القديم لا يعطي المرأة إرثاً وإن أعطاها فهو يتعامل معها تعامله مع القاصر فلا يعطيها استقلالاً وشخصية قانونية (٢٥).

ويُحرم الأبناء في بعض سنن العالم القديم من الإرث إن حصلت أمهم على شيء منه خلافاً للأب، فيمكنه أن يحصل على الإرث كما يمكن لأبنائه أن يرثوا أحدهم أيضاً. وفي بعض السنن الأخرى تُعطى المرأة الإرث ولكن بصورة غير قطعية أي لا يكون نصيباً مفروضاً (٢٦).

ويميل بعض الباحثين الإسلاميين إلى أن سبب حرمان المرأة هو الحيلولة دون انتقال الثروة من أسرة إلى أسرة. فالأمهات مجرد وعاء تنمو فيه نطف الرجال ليأتي الأبناء إلى الدنيا، وعلى هذا الأساس يرى العرف القديم - الجاهلي - أن أبناء أبناء الرجل أبناؤه وجزء من أسرته، أما أبناء بنات الرجل فليسوا أبناءه ولا جزءاً من أسرته، بل يعدون من أسرة والد زوج البنت (٢٧) ولهذا يقول شاعرهم:

بنونا بنو أبائنا وبنو بناتنا أبناء الرجال الأباed

أما الإسلام فقد حرر المرأة من استبدادية الأنظمة والقوانين الموضوعة ضدها، وأعطاهها حقها القانوني ومكانتها الطبيعية التي فقدتها في المجتمع من حيث حقوقها المالية وغيرها، كقوله تعالى: (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً) (٢٨).

ثقافة المرأة

عندما جاء الإسلام حاول أن يصحح القانون والدستور والعرف تجاه المرأة التي تشكل نصف المجتمع، فحررها من عبودية الغير وأعطاهها شخصية مستقلة وبعداً اجتماعياً وسياسياً، بحيث أصبحت كياناً مؤثراً في القرارات والأحداث، ولذلك صارت تلعب دوراً أساسياً في المجتمع. وساوى بينها وبين الرجل من حيث الحقوق والواجبات، فأباح لها أن تحصل على ما تشاء من علم وآداب وثقافة بل إنه ليجب عليها ذلك في الحدود اللازمة لوقوفها على أمور دينها وحسن قيامها بوظائفها في الحياة، لذا نجد أن النبي (صلى الله عليه وآله) حث النساء على طلب العلم وجعله فريضة عليهن في هذه الحدود فقال (صلى الله عليه وآله): طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة. أي على كل فرد مسلم رجلاً كان أم امرأة (٢٩).

٢٥ - حقوق المرأة في النظام الإسلامي.

٢٦ - المصدر نفسه.

٢٧ - حقوق المرأة في النظام الإسلامي.

٢٨ - النساء: ٧.

٢٩ - المرأة في الإسلام.

والمرأة شق الرجل ومخلوقة أكرمها الله سبحانه حين أكرم الرجل على حد سواء، وهي تدير من شؤون الحياة مثل ما يدير الرجل (٣٠). واحتكار العلم والثقافة للرجل يجعل في المرأة ضعفاً وجهاً، وهو السبب في استعباد المرأة ومظلوميتها - كما يرى أحد الباحثين - لأن العلم يجعل من المرأة شخصية قوية تستطيع أن تواجه الحياة بقوة وثبات في قبال الرجل.

نعم هناك فوارق بين الرجل والمرأة لا نشك فيها، ولذلك منع الإسلام عنها بعض الأشياء كالقضاء وصلاة الجمعة. وهذا لا يعني أنها لا تستطيع طلب بقية العلوم والعمل بها ولكن ضمن الضوابط الشرعية، وبصورة لا تتنافر وطبيعتها ويحفظ لها كرامتها ويصونها عن التبذل، كل ذلك في وقار وحشمة مبتعدة عن الفتنة والريبة.

الحجاب والمرأة

إن موضوع الحجاب للمرأة في المجتمع المسلم موضوع في غاية الأهمية والضرورة نظراً لأن الحجاب هو أحد أهم القضايا الأخلاقية لسلوك المرأة. فالعري والخلاعة والسفور مظاهر لم تعرفها الديانات منذ نشأتها، وحاربتها ووضعت مكانها اللباس الساتر لجسد المرأة.

وقد أثرت بعض الدعاوى والدعايات لأجل التخلي عن هذا اللباس، بحجة أنه يعيق المرأة عن أداء دورها في المجتمع. وما هذه الدعوة إلا لأجل تقويض الأهداف الإسلامية السامية التي ترفع شعار العفة والأخلاق لحركتها.

إن الحجاب بحد ذاته يعتبر تحدياً واضحاً بما يمتلك من أبعاد أخلاقية واجتماعية ونفسية في المجتمع، ويحافظ على بنائه الخلقي، ويقضي على ظاهرة الفساد والخلاعة. وبهذا الصدد تطرّق أحد الكتاب الإسلاميين إلى ثلاث شبه وردّ عليها، يقول:

(يقولون للحجاب ثلاث مزار مهمة على المرأة آثارها رديئة جداً (أولها) إنه يضعف صحتها ويعرضها للأمراض وضعف الأعصاب، ومتى ضعفت الأعصاب اختل التوازن في القوى الأدبية (وثانيها) إن الحجاب مانع للخاطب من رؤية وجه مخطوبته وهو السبب الكبير في كثرة الطلاق وعدم الوفاق (وثالثها) إنه يمنع المرأة عن التهذيب والتعلم ويصدها عن متابعة أمثالها في تنمية قواها العقلية والأدبية في بيوت التعليم.

فلنرد على هذه الثلاث شبه فنقول: النساء المحجبات لسنّ مريضات ولا ضعيفات الأعصاب بل هنّ في المجموع أقوى من النساء المكشوفات بكثير).

ويتابع قوله: (وقد مضى على المسلمات نحو من ثلاثة عشر قرناً وهنّ محجبات مصونات، فلو كان الحجاب يحدث فيهنّ ضعفاً - من أي نوع كان - لوجب أن تتوارثه النساء والرجال جيلاً فجيلاً ولكننا نرى العكس).

ثم يقول: إنه لا يغيب عن أي إنسان أن الميل في الشهوات لا يحصل في الإنسان بشدة إلا بوجوده بين مثارته، ولا يغلب العقل إلا إذا وجد سهولة الوصول إلى مطلوبه، فأبي المرأتين إذن تكون أشد تعرضاً لمثارات الشهوة؟ المحجبة أم المكشوفة؟ المتعالية من الاختلاط بالرجال بغير دينية وراثية شديدة أم المختلطة بهم؟ أليست الثانية؟ اللهم إن علم البسيكولوجيا أكبر شهيد عندنا بهذه الحقيقة).

٣٠ - إلى أخواني في الهند وباكستان وأفغانستان (الإمام الشيرازي).

ويقول: (أما قولهم إنه مانع من رؤية المخطوبة، وبنائهم كثرة الطلاق وشكاوي النساء على هذا السبب، فنردّه بقولنا: إن الشكاية من كثرة الطلاق وظلم الرجال للنساء ليس خاصاً بالمسلمين بل هو في بلاد المدنية أكثر منه لدينا. وأما قولهم إنه يمنع المرأة من التهذيب والتعليم فليس بصحيح، لأن البنت تستطيع أن تمكث في المدارس من السنة السابعة من عمرها)(٣١).

إن أي منصف في العالم عندما يقارن بين مظاهر الانحطاط وعلاقة المرأة بالرجل بين الغرب والعالم الإسلامي، يجد الحقيقة واضحة أمامه لاحتياج إلى مزيد بيان وبرهان، لأن حالات الطلاق، والمواليد الغير شرعية، والزنا، والأمراض النفسية والجنسية، وحالات الانتحار والقتل والاغتصاب والجرائم المنظمة، كلها علائم تشير إلى ضرورة حفظ جسد المرأة بصورة تتفق مع الحشمة والأدب والتعاليم الدينية لكي تنعكس على المرأة ومجتمعها.

ينقل أحد الباحثين الإسلاميين عن الفيلسوف العمراني المشهور (جول سيمون) نقلاً عن مجلة المجالات قوله: كان الناس في سنة ١٨٤٨ يشكون من عدم الاعتناء بتهذيب النساء وتربيتهن، ولكنهم بالعكس يشكون اليوم من أن ذلك التهذيب قد بلغ حد الإفراط، نعم لا نشك أننا خرجنا من تفريط إلى إفراط هائل)(٣٢).

الزواج

منذ بدء التاريخ تكونت العائلة أول ما تكونت من زوج وزوجة، قال سبحانه وتعالى: (وجعل منها زوجها ليسكن إليها). والزواج هو ما يقابل الزنا وهو العلاقة والرابطة المشروعة بين الرجل والمرأة. وإن موقف الشريعة الإسلامية من علاقة المرأة بالرجل موقف إيجابي واضح وهو أن للمرأة الحق في اختيار زوجها ولها الحق في الرفض.

ولا يتم العقد الشرعي إلا برضاها لأن المرأة لها مطلق الحرية في الارتباط مع الرجل التي تريد بشرط مراجعة وليها فلعلمها لم تحسن الاختيار أو غرر بها، لذلك حرص الإسلام على إشراك وليها وخصوصاً إذا كانت باكرة أو غير رشيدة بحيث لا تستطيع أن تحدد مصلحتها.

والزواج يعتبر أضخم وأخطر مشروع في الحياة لما له من آثار اجتماعية كبيرة، ونرى بوضوح اهتمام القرآن الكريم بقضية الزواج، يقول عز وجل: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة أن في ذلك لآياتٍ لقوم يتفكرون)(٣٣). وفي الحث على الزواج يقول تعالى: (وانكحوا الأيامي منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم)(٣٤) إلى غير ذلك الآيات من القرآنية.

وفي الأحاديث النبوية هناك تركيز كبير أيضاً على موضوع الزواج، فقد جاء عن النبي الخاتم (صلى الله

٣١ - المرأة المسلمة، محمد فريد وجدي.

٣٢ - المرأة المسلمة، محمد فريد وجدي.

٣٣ - الروم: ٢١.

٣٤ - النور: ٣٢.

عليه وآله وسلم): (من رغب عن سنتي فليس مني وإن من سنتي النكاح فمن أحبني فليستن بسنتي) وورد عنه (صلى الله عليه وآله وسلم): (إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير). وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أكثر أهل النار العزاب) إلى غير ذلك من الروايات التي تؤكد ضرورة الارتباط الشرعي مع المرأة.

لكن المشكلة الأساسية في مسألة الزواج هي ابتعاد المجتمع عن القيم الإسلامية حتى باتت قضية الزواج أشبه بعملية تجارية تعقد بين الرجل والمرأة، مما تنذر بمشكلة اجتماعية كبيرة. وعلاجها هو الرجوع إلى القيم الحقيقية الكبيرة التي تجعل رباط المرأة والرجل محكوماً بالتقوى والصلاح، دون المظاهر الأخرى المادية. نعم الإسلام لم يحرم المرأة من أن تشترط لنفسها مهراً معيناً على أن تأخذ بنظر الاعتبار الصلاح والالتزام والأخلاق والإيمان. ثم إن المهر يكون من قبل الرجل لأنه هو الذي يعمل ويحصل على المال، والاحتياج إلى المهر من جهة تجهيز البيت الجديد (٣٥). والرجل هو القيم على المرأة باعتبار ما يملك من قوة تؤهله لحماية المرأة.

المرأة المعاصرة

ذهب بعض المفكرين إلى ضرورة إعداد المرأة ثقافياً وعلمياً للأمور التي تتلاءم مع وظيفتها الأساسية في الحياة، وعلى رأس هؤلاء المفكرين الإسلاميين محمد باقر الصدر والشيرازي وعبد الأعلى المودودي وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وغيرهم من رجالات الفكر. وقد أثبت العلم الحديث ضرورة وضع الأسس والقوانين لإنجاز أي مشروع قبل المباشرة به حتى لا يعقبه الفشل وتسوده الفوضى.

ثم إن توسيع آفاق المرأة العلمية يلزم أن يكون ملائماً لرسالتها في الحياة كالفنون المنزلية في الخياطة والتطريز والطبخ وتربية الطفل وعلم الصحة وقواعد الدين والأخلاق، ومنها أصول التدريس وعناصر التربية وإدارة الجمعيات الخيرية الخاصة بالنساء، بالإضافة إلى المناهج الخاصة ونوعية التأهيل والتخصص بأن تكون هناك مرحلتان في تعلم البنات.

تنتهي المرحلة الأولى بأدنى سن البلوغ ولا تتعلم فيها الفتاة غير ما يلائمها ويركز في هذه المرحلة على تعليم كتاب الله وكتب الحديث الصحيحة والمرحلة الثانية لا بد أن تكون مقصورة على المتفوقات ممن أنهين المرحلة الأولى وضمن الشروط الشرعية المتفق عليها لسلوك المرأة عموماً وفي حدود حاجة الأمة لتلك الأمور اللائقة بالنساء منهن وإيهن (٣٦).

ولقد ثار جدل كبير في أوساط المفكرين حول عمل المرأة بين مجوز ومانع، وهناك رأي معتدل وسط بين ذينك الرأيين وهو يشترط لعمل المرأة في خارج بيتها عدة شروط، ومن هذه الشروط: الحشمة والوقار والابتعاد عن الفتنة والريبة في جسدها، وأن لا يؤدي عملها إلى ضرر اجتماعي كمزاحمة الرجل وتعطيله عن العمل، وأن

٣٥ - الإمام الشيرازي (الاجتماع).

٣٦ - المصدر نفسه.

لا يعوقها عملها خارج البيت عن أداء واجبها تجاه زوجها وبيتها وأولادها، هذا كله مع رضا زوجها بعمل زوجته، لأن عدم الرضا سيؤدي - بالضرورة - إلى إحداث شقاق ونزاع قد يصل إلى الطلاق والانفصال. ثم إن الثقافة الحديثة المادية أوجبت انسياب المرأة كما أن الصناعة الحديثة والنظام الحديث أوجبا تسديد المرأة لحاجات نفسها بالوظيفة أو بالعمل الصناعي، وقد انعكس ذلك إلى قلة مبالاة الرجل بالمرأة (٣٧). فلا بد إذن من التوازن بين معطيات المادة ومعطيات الدين الإسلامي حتى لا تنعكس الآثار السلبية على المرأة وعائلتها كما يحدث في الغرب.

شبهات وردود

الشفاعة

نزار مصطفى

الشفاعة (لغة) هي كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره. وشفع إليه بمعنى طلب إليه. والشافع: الطالب لغيره يتشفع به إلى المطلوب، وتشفع طلباً (٣٨).

والشفاعة (بالمصطلح القرآني) هي إسقاط الذنوب عن العاصين من المؤمنين يوم القيامة. وهذا ما يذهب إليه جمهور المسلمين عدا بعض المعتزلة إذ يرون أن الشفاعة تعني زيادة ثواب المؤمنين ورفع درجاتهم ولا تعني إسقاط ذنوب المذنبين.

وتُطلق الشفاعة أيضاً على قيادة الأنبياء والأئمة والقرآن لمقامها مقام الشفيع في تخلص المؤمن من عواقب أعماله وآثار سيئاته. والذي يعنينا في هذا البحث هو الشفاعة بالمصطلح القرآني، فقد اتفق علماء المسلمين على ثبوت الشفاعة لنبيينا محمد (صلى الله عليه وآله).

واستدلوا بقوله تعالى: (ولسوف يُعطيك ربك فترضى) (٣٩). والذي أعطي للرسول هو حق الشفاعة الذي يرضيه. وكذلك استدلوا بقوله تعالى: (عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) (٤٠). حيث اتفق المفسرون على أن المقصود بالمقام المحمود هو مقام الشفاعة.

وأما عن طريق الأحاديث النبوية الشريفة، فقد تواتر قوله (ص): (إدخرتُ شفاعةً لأهل الكبائر من أمتي) (٤١).

وقد أثبت أسئلة وشبهات حول موضوع الشفاعة لا بأس بالإشارة إلى بعضها والإجابة عليها:

س ١: هناك آيات تدل على عدم وجود الشفاعة مثل قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة) (٤٢). وكذلك قوله تعالى: (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأتي فضلتكم على العالمين، واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون) (٤٣).

٣٨ - راجع لسان العرب.

٣٩ - سورة الضحى: الآية ٥.

٤٠ - سورة الإسراء: الآية ٧٩.

٤١ - مسند أحمد بن حنبل: ج ٣ ص ٢١٣ سنن ابن داود: ج ٣ ص ٥٣٧، وبهذا المعنى سنن ابن ماجه: ج

٢ ص ١٤٤١، وسنن الترمذي: ج ٤ ص ٤٥، من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ٣٧٦.

٤٢ - سورة البقرة: الآية ٢٥٤.

٤٣ - سورة البقرة: الآيتان ٤٧ و ٤٨.

ج ١: نعم الآية الأولى تصرّح بعدم وجود الشفاعة، إلا أن الآية التي تليها تصرّح بحصول الشفاعة عند الله سبحانه، إلا أنها مشروطة بإذنه (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) (٤٤).

فالآية التي تنفي الشفاعة ناظرة إلى الشفاعة التي لا تكون بإذن الله تعالى وكذلك تلك التي لا تتوفر فيها شروط الشفاعة.

قال العلامة الطباطبائي: إن لوازم المخالّة إعانة أحد الخليطين الآخر في مهام أموره، فإذا كانت لغير وجه الله كان نتيجتها الإعانة على الشقوة الدائمة والعذاب الخالد، كما قال تعالى بشأن الظالمين يوم القيامة: (يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني) (٤٥). أما الأخلاء من المتقين فإن خلّتهم تتأكد وتنفعهم يومئذٍ. وفي الخبر النبوي: إذا كان يوم القيامة انقطعت الأرحام، وقُلت الأنساب، وذهبت الإخوة إلا الإخوة في الله، وذلك قوله: (الأخلاء يومئذٍ بعضهم لبعض عدوٌ إلا المتقين) (٤٦). وعلى ذلك فكما أن المنفي هو قسم خاص من المخالّة دون مطلقها، فهكذا الشفاعة. فالمنفي بحكم السياق قسم خاص من الشفاعة. أضف إلى ذلك أن الظاهر هو نفي الشفاعة في حق الكفار بدليل ما ورد في ذيل الآية، حيث قال: (والكافرون هم الظالمون) (٤٧).

أما الآية الثانية، فهي خطاب موجه لليهود الذين كانوا يعتقدون بأن آباءهم وأنبياءهم يشفعون لهم وينجّوهم من العذاب سواء كانوا عاملين بشريعتهم أم عاصين لها، وأن مجرد الانتماء والانتساب يكفيهم في ذلك، فجاءت الآية لتتسلف هذا الاعتقاد الخاطئ جملة وتفصيلاً.

س ٢: ذكرت أن للشفاعة شروطاً. فما هي هذه الشروط؟

ج ٢: قبل الإجابة عن هذا السؤال أود أن أذكرك بأن الشفاعة المطلقة مختصة بالله (سبحانه وتعالى) لا يشاركه فيها غيره. وبمعنى آخر أن شفاعته مالكيته لكل شفاعة مأذونة بالأصالة لكل من ارتضى شفاعته. أي إنه (سبحانه) يملك حق الشفاعة بالأصالة، والشفيع يملكها بالتبعية. وإليك الآيات الكريمة التي تدل على ذلك: قال تعالى: (وانذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربّهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلمهم يتّقون) (٤٨). وكذلك قوله تعالى: (وذر الذين اتّخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرّتهم الحياة الدنيا وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع) (٤٩).

أما الآيات التي تصرّح بوجود شفيع غير الله تعالى وأن شفاعته تقبل عند الله في إطار خاص وشرائط معينة في الشفيع والمشفوع له هي:

٤٤ - سورة البقرة: الآية ٢٥٥.

٤٥ - سورة الفرقان: الآية ٢٨ و ٢٩.

٤٦ - سورة الزخرف: الآية ٦٧.

٤٧ - تفسير الميزان: ج ١٨ ص ١٢٨

٤٨ -

٤٩ - سورة الأنعام: الآية ٥١.

- ١ - (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه)(٥٠). وكذلك قوله تعالى (ما من شفيع إلا من بعد إذنه)(٥١).
- الشفاعة في هذه الآيات مشروطة بإذن الله تعالى.
- ٢ - يشترط في الشفيع أن يكون ممن يشهد بالحق، أي يشهد بالله (سبحانه) ووجدانيته وسائر صفاته، قال تعالى: (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون)(٥٢).
- ٣ - يكون الشفيع ممن يقول قولاً مرضياً عند الله (تعالى) عنده، ويدل على هذا الشرط قوله تعالى: (يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً)(٥٣).
- ٤ - أن يعهد الله له بالشفاعة كما يشير إليه قوله عز وجل: (لا يملكون الشفاعة إلا من اتَّخذ عند الرحمن عهداً)(٥٤).
- أما شروط المشفوع له فيجب أن لا يكون من الكفار الذين انقطعت علاقتهم عن الله لأجل الكفر به وبرسله وكتبه. كما يجب أن لا يكون ممن انقطعت علاقته الروحية عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبقية الشفعاء الصالحين، لأجل انهماك في الفسق والأعمال السيئة، فإنه ما لم يكن بين (الشفيع والمشفوع له) ارتباط روحي لا يقوم الشفيع بإنقاذه وتطهيره وتزكيته.
- يقول تعالى: (يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شُفعاء فيشفعوا لنا أو نردّ فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضلّ عنهم ما كانوا يفترون)(٥٥).
- س٣: أوردت في بداية البحث حديثاً عن رسول الله حول الشفاعة، فهل هناك أحاديث أخرى وردت بهذا الخصوص؟
- ج٣: نعم. وردت أحاديث كثيرة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حول الشفاعة، وكيفية حصولها، ومن يستحقها ومن يحرم منها.
- قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): لكلّ نبيّ دعوة مستجابة فتعجل كل نبيّ دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي وهي نائلة من مات منهم لا يشرك بالله(٥٦).
- وقال: (شفاعتي لمن شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً يصدق قلبه لسانه ولسانه قلبه)(٥٧).
- وقال (صلى الله عليه وآله): أنا سيد الناس يوم القيامة... ثم يقال: يا محمد إرفع رأسك سلّ تعطه، واشفع

٥٠ - سورة الأنعام: الآية ٧٠.

٥١ - سورة البقرة: الآية ٢٥٥.

٥٢ - سورة يونس: الآية ٣.

٥٣ - سورة الزخرف: الآية ٨٦.

٥٤ - سورة طه: الآية ١٠٩.

٥٥ - سورة مريم: الآية ٨٧.

٥٦ - سورة الأعراف: الآية ٥٣.

٥٧ - سنن ابن ماجه: ج ٢، ص ١٤٤٠، وموطأ مالك: ج ١ ص ١٦٦، وسنن الدرامي: ج ٢ ص ٣٢٨، وصحيح مسلم: ج ١ ص ١٣٠.

تُشفع، فأرفع رأسي، فأقول: يا ربّي. أمتي، يا ربّي. أمتي، يا ربّي. أمتي.
فيقول: يا محمد. أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأبيض من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس
فيما سوى ذلك من الأبواب(٥٨).

وقال: (إن الله يُخرج قوماً من النار بالشفاعة)(٥٩). وروي عنه: (يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم
الشهداء)(٦٠).

قال الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام): (من كذب بشفاعة رسول الله لم تنله)(٦١).

س٤: قال البعض إنه لا يجوز طلب الشفاعة من النبي. فما هو جوابكم؟

ج٤: استدلل القائلون بحرمة طلب الشفاعة من النبي بوجوه كلها غير تامة ولا تصح وليلاً.

١ - إن طلب الشفاعة من الشفعاء عبادة لهم فهي تؤدي إلى الشرك في العبادة. فإتك إذا قلت: يا محمد إشفع
لنا عند الله، فقد عبدته بدعائك، فيجب عليك أن تقول: اللهم اجعلنا ممن تناله شفاعة محمد (صلى الله عليه وآله
وسلم).

هذا الدليل غير تام والجواب عنه واضح كل الوضوح بعد الوقوف على معنى العبادة. فإن العبادة ليست
مطلق الدعاء ولا مطلق الخضوع ولا مطلق طلب الحاجة.. بل حقيقة العبادة عبارة عن الدعاء أو الخضوع أمام
من يعتقد بألوهيته وربوبيته، وأنه الفاعل المختار والمتصرف بلا منازع في الكون، وبعبارة أخرى: العبادة هي
الخضوع عن اعتقاد بألوهية المسؤول وربوبيته واستقلاله في ذاته.

وعلى ذلك فطلب الشفاعة إنما تعد عبادة للشفيع، إذا كان مقروناً بالاعتقاد بألوهيته وربوبيته وأنه مالك
لمقام الشفاعة. وأما إذا كان الطلب مقروناً باعتقاد أنه عبد من عباد الله الصالحين يتصرف بإذن الله (تعالى) في
الشفاعة وارتضائه للمشفوع له فلا يعد عبادة للشفيع.

٢ - إن طلب الشفاعة يشبه عمل عبدة الأصنام في طلبهم الشفاعة من آلهتهم الباطلة، وقد حكى القرآن ذاك
العمل منهم وذمه حيث قال سبحانه: (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء
شفعاؤنا عند الله)(٦٢). وعلى هذا فالاستشفاع من غيره تعالى عبادة لهذا الغير.

وهذا الدليل أوهن من سابقه، لأنك إذا أمعنت النظر في مفاد الآية لا تجد فيها أية دلالة على أن شركهم كان
لأجل الاستشفاع بالأصنام. وتوضيح ذلك أن المشركين كانوا يقومون بعملين، أولهما (العبادة) ويدل عليه قوله
تعالى (ويعبدون) وثانيهما (طلب الشفاعة) وثانيهما يدل عليه قوله تعالى: (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا).

ولكن علّة اتصافهم بالشرك هو العمل الأول لا الثاني، لأنه لو كان الاستشفاع بالأصنام عبادة لها في الحقيقة
لما كان هناك مبرر للإتيان بهذه الإضافة أعني قوله تعالى: (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا) بعد قوله: (ويعبدون) إذ

٥٨ - مسند أحمد: ج ٢ ص ٣٠٧ و ٥١٨.

٥٩ - سنن الترمذي الباب ١٠ كتاب صفة القيامة حديث ٢٤٣٤.

٦٠ - صحيح مسلم: ج ١ ص ١٢٢.

٦١ - سنن ابن ماجه: ٢ ص ١٤٤٣.

٦٢ - عيون أخبار الرضا: ج ٢ ص ١٢٥.

لا فائدة لهذا لتكرار. فالآية لا تدل على أن الاستشفاع بالأصنام عبادة لها. نعم - كما قلنا - يكون الخضوع أو الدعاء أو الاستشفاع عبادة إذا كان مقروناً بالاعتقاد بالإلهية والربوبية.

٣ - طلب الحاجة من غيره تعالى حرام، لأن ذلك دعاء لغير الله وقد نهى الله عنه حيث قال عز وجل: (فلا تدعوا مع الله أحداً) (٦٣).

وإذا كانت الشفاعة ثابتة لأوليائه، وكان طلب الحاجة من غيره حراماً، فالجمع بين الأمرين غير ممكن إلا إذا قلنا إن الشفاعة خاصة بالله تعالى. ويوضح ذلك قوله عز وجل: (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم اخرجين) (٦٤).

فقد عبر عن العبادة في الآية بلفظ (الدعوة) في صدرها ولفظ (العبادة) في ذيلها، وهذا يكشف عن وحدة التعبيرين في المعنى، فالدعاء عبادة. فكما أن عبادة غير الله حرام فكذلك طلب الحاجة من غيره تعالى حرام. وهذا الاستدلال غير تام ويرد بثلاثة أجوبة:

(أ) إن المراد من الدعاء في قوله تعالى (فلا تدعوا مع الله أحداً) (٦٥) ليس مطلق دعوة الغير بل الدعوة الخاصة المرادفة للعبادة، ويدل عليه قوله تعالى في صدر هذه الآية (وأن المساجد لله). وعليه يكون المراد من النهي عن دعوة الغير هو الدعوة الخاصة المقترنة بالاعتقاد بكون المدعو إلهاً ورباً مستقلاً في ذاته. فإذا كان طلب الشفاعة مقترناً بهذه العقيدة فهي عبادة باطلة ومرفوضة.

(ب) إن المنهي عنه هو دعوة الغير بجعله في مرتبة الله تعالى كما يفصح عنه قوله (مع الله). فالمنهي عنه هو دعوة الغير وجعله مع الله في مرتبته، وليس النهي لدعوة الغير معتقداً بأنه عبد من عباد الله لا يملك لنفسه ولا لغيره ضراً ولا نفعاً.

(ج) إن الدعاء ليس مرادفاً للعبادة. وما ورد في الآية والحديث من تفسير الدعاء بالعبادة لا يدل على الترادف، لأن المراد بالدعاء المرادف للعبادة فيها هو قسم خاص منه وهو الدعاء المقترن باعتقاد الألوهية والربوبية في المدعو.

٤ - إن الشفاعة حق مختص بالله سبحانه لا يملكه غيره، فطلبها من غير مالكها أمر غير صحيح، قال تعالى: (قل لله الشفاعة جميعاً) (٦٦).

والجواب: ليس المقصود من هذه الآية أن الشفيع هو الله دون غيره، بل المراد أن المالك - المستقل - لمقام الشفاعة هو الله تعالى وحده، ولا يشفع أحد في حق أحد إلا بإذنه للشفيع وارتضائه للمشفوع له. وهذا المقام ثابت لله تعالى بالأصالة والاستقلال ولغيره بالاكتمال والإجازة.

٥ - إن طلب الشفاعة من الميت غير ممكن لأنهم لا يعقلون ولا يشعرون، لذلك يكون طلب الشفاعة من الأنبياء والصالحين أمراً لغواً لأنهم أموات غير أحياء ولا يعقلون.

٦٣ - سورة يونس: الآية ١٨.

٦٤ - سورة الجن: الآية ١٨.

٦٥ - سورة غافر: الآية ٦٠.

٦٦ - سورة الجن: الآية ١٨.

وهذا الاستدلال سخي فباطل من عدة وجوه:

(الأول): إن البراهين الفلسفية قد أثبتت تجرد النفس الإنسانية وبقائها بعد مفارقة الروح عن البدن، فليس الميت ممن لا يسمع ولا يعقل.

(الثاني): إن الآيات صريحة في أن المقتولين في سبيل الله هم أحياء يُرزقون حيث قال تعالى: (ولا تحسبنّ الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يُرزقون)(٦٧).

وهل يجد هؤلاء مبرراً لتأويل الآية مع صراحتها في أن الشهداء أحياء يُرزقون؟! فلو كان الشفيع أحد الشهداء في سبيل الله فهل يكون هذا الطلب لغواً؟! نعوذ بالله من شطحات الفكر.

(الثالث): إن القرآن يعدّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) شهيداً على الأمم جمعاء، يقول سبحانه: (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً)(٦٨) ؟ فهذه الآية صريحة بأن النبي (ص) شاهد على الشهود الذين يشهدون على أممهم.

فإذا كان النبي (ص) شاهداً على الأمم جمعاء - أو على شهودهم - فهل تعقل الشهادة بدون الحياة وبدون مشاهدة الأعمال والاطلاع على الأحوال؟! إذن، يكون طلب الشفاعة من النبي الأكرم - الذي هو حيّ بنص القرآن الكريم - أمراً صحيحاً معقولاً. والجدير بالذكر أن هناك آيات تدل بوضوح على امتداد الحياة إلى ما بعد الموت تركنا ذكرها رعاية للاختصار.

٦ - إن القرآن الكريم يصرح بوضوح أن الموتى لا يسمعون ولا يبصرون، فكيف يشفعون؟ قال تعالى: (إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولّوا مدبرين)(٦٩). وقال تعالى: (إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور)(٧٠). ومفاد الآيتين أن الأموات مطلقاً غير قابلين للإفهام. والجواب: إن مفاد الآيتين هو نفي السماع والإفهام عن (أجساد) الأموات المدفونين في القبور، فإنهم أصبحوا بعد الموت كالجماد لا يفهمون ولا يسمعون، وهذا شيء آخر لا يدل على أن الأرواح التي فارقت هذه الأبدان لا تعقل ولا تسمع.

فليس هناك دلالة على عدم إمكان تفهيم الأرواح التي تحيا في البرزخ في النعيم أو الشقاء. ومن المعلوم أن خطاب الزائر للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله: يا محمد! إشفع لنا عند الله، لا يشير إلى جسده المطهر بل إلى روحه الزكية المجاورة لربّها.

س ٥: إن معرفة الناس بثبوت الشفاعة بواسطة الأنبياء والصالحين، يخلق عندهم الجرأة على ارتكاب الذنب على أمل نيل الشفاعة يوم القيامة. وهذا الأمر سيؤدي إلى عبثية الأحكام المتعلقة بالجزاء وسيضطرب النظام الاجتماعي ويشيع الفساد في الناس.

ج ٥: إن هذا الإشكال ضعيف، لأنه يهمل ظاهرة مهمة في الآيات القرآنية التي تناولت موضوع الشفاعة

٦٧ - سورة الزمر: الآية ٤٤.

٦٨ - سورة آل عمران: الآية ١٦٩.

٦٩ - سورة النساء: الآية ٤.

٧٠ - سورة النمل: الآية ٨٠.

وكذلك الآيات التي تحدثت عن خلود الكافرين في النار... وهذه الظاهرة هي: أن آيات الشفاعة لم تُعَيِّن الأفراد والمجاميع الذين تنالهم الشفاعة، كما أنها لم تُعَيِّن الذنوب التي تُقبل الشفاعة فيها. فإذا كان الأمر كذلك، فكيف تطمئن نفس أن تنالها الشفاعة؟! وكيف تطمئن أيضاً إلى أن ذنبها الذي ترتكبه هو من الذنوب التي تقبل فيها الشفاعة؟! الشفاعة؟!

ومن هنا فإن النفس - والحال هذه - يجب أن تبقى متعلقة وجلة يمتلكها الخوف من ارتكاب الذنب والمعصية، لأنها لا تعلم مَنْ يفوز بالشفاعة ومن تقبل فيه الشفاعة؟

أما الآيات الشريفة التي تحدثت عن الكافرين وخلودهم في النار وأنواع العذاب العظيم، فإنها شخّصت الإطار العام للصفات والأفعال التي تُوجب دخول النار كما في قوله تعالى: (إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)(٧١).

فالآية تتحدث عن المغفرة يوم القيامة، وأنها لا تنال الذين ماتوا وهم مشركون، فكيف تُعطي الشفاعة الجراءة على الذنوب والمعاصي؟! على

من أعلام الشيعة

علي بن موسى العلوي

(ابن طاووس)

ينحدر ابن طاووس من أشرف الأسر العلمية في الحلة وشهرتهم واسعة. كانوا بسوراء المدينة، ثم انتقلوا إلى بغداد والحلة، ولقب جدهم محمد بالطاووس لحسن وجهه وجماله. وقد نبغ منهم علماء فطاحل هم مفخرة السادات العلويين، ولم تزل آثارهم العلمية حتى الآن محط أنظار العلماء والأساتذة، منهم المترجم له وأخوه السيد جمال الدين أبو الفضائل أحمد. وكان لوالدهما (موسى) أربعة أولاد، كلهم علماء فضلاء أتقياء. والولدان الآخران هما شرف الدين محمد وعز الدين الحسن، وأبو القاسم رضي الدين علي هو الذي اشتهر من بين أفراد أسرته بلقب (ابن طاووس).

اسمه ونسبه

هو رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد الطاووس العلوي الحسني. ينتهي نسبه من جهة الأب إلى السيد الأجل أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن الحسن بن محمد بن سليمان بن داود بن الحسن المثنى بن الحسن المجتبى (ع).. وأما أمه وأم أخيه السيد جمال الدين، فهي بنت الشيخ مسعود الورام بن أبي فراس المالكي، صاحب كتاب (المجموع) المشهور. وابن طاووس من أجلاء الطائفة وثقاتها، جليل القدر، عظيم المنزلة، كثير الحفظ، نقي الكلام، حاله في العلم والعبادة والفضل والزهد والثقة والفقه والجلالة والورع أشهر من أن يذكر، وكان أيضاً شاعراً، أديباً، منشئاً، بليغاً.

ولادته

ولد رضي الدين بن طاووس بالحلة سنة ٥٨٩ هـ، ثم أقام ببغداد نحواً من (١٥) سنة ثم رجع إلى الحلة، ثم سكن النجف الأشرف برهة، ثم عاد إلى بغداد في أيام دولة المغول وبقي فيها إلى حين وفاته. عرضت عليه نقابة العلويين في عصر المستنصر العباسي فأبى، وعرضت عليه في زمن المغول فوافق، فتولّاها سنة ٦٦١ هـ وبقي فيها (٣) سنين و(١١) شهراً إلى أن توفي، واستمرت النقابة في عقبه من بعده.

مشايخه

كان منهم الشيخ حسين بن محمد السوراي، وأبو الحسن الخياط، وأبو السعادات الأصفهاني، والشيخ نجم الدين ابن نما.

تلاميذه ومن روى عنه

منهم العلامة الحلي ووالده الشيخ يوسف بن علي بن المطهر الحلي. ومنهم الشيخ القسيني وأبنائه الشيخ جعفر والشيخ علي. ومن تلاميذه السيد غياث عبد الكريم بن أحمد بن طاووس.

مؤلفاته

للسيد ابن طاووس (قدس سره) مصنفات كثيرة ربما تجاوزت الأربعين مؤلفاً في علوم شتى، كالفقه والعقائد.

من مصنفاته المشهورة:

- ١ - الملاحم والفتن.
- ٢ - فرج المهموم.
- ٣ - سعد السعود.
- ٤ - الملهوف على قتلى الطفوف.
- ٥ - الطرائق في معرفة مذاهب الطوائف.
- ٦ - محاسبة النفس.

أقوال العلماء فيه

قال المحقق البحراني: (نقل بعض أصحابنا أن السيد المذكور - مع كثرة تصانيفه - لم يصنف في الفقه تورعاً من الفتوى وخطرها وشدة ما ورد فيها).

وقال العلامة الحلي في بعض إجازاته: (كان رضي الدين علي صاحب كرامات، حكى لي بعضها، وروى لي والذي البعض الآخر).

وقال في موضع آخر: (إن السيد رضي الدين كان أزهى أهل زمانه).

وقال السيد التفريشي عنه: (من أجلاء هذه الطائفة وثقاتها، جليل القدر، عظيم المنزلة، كثير الحفظ، نقي الكلام، حاله في العبادة أشهر من أن يُذكر، له كتب حسنة).

وقال المحقق الشيخ أسد الله الدزفولي الكاظمي: (السيد السند، المعظم المعتمد، العالم العابد الزاهد، الطيب الطاهر، مالك أزمة المناقب والمفاخر، صاحب الدعوات والمقامات، والمكاشفات والكرامات، مظهر الفيض السني، واللفظ الجلي، أبي القاسم رضي الدين علي، بوّاه الله تحت ظله العرشي، وأنزل عليه بركاته كل غداة وعشي).

وقال عنه عمر رضا كحالة: (فقيه، محدث، مؤرخ، أديب، شارك في بعض العلوم، وله تصانيف كثيرة).

وفاته ومدفنه

توفي في بغداد يوم الاثنين خامس ذي العقدة سنة ٦٦٤ هـ (٧٢) وهذا من المتفق عليه. ولكن وقع الاختلاف في الكلام عن مدفنه، فمنهم من ذهب إلى أن قبره مجهول (٧٣) وآخر إلى أنه في الحلة (٧٤) وبعض إلى أن القبر المعروف في الحلة هو قبر أبنه (٧٥). وله كلام في (فلاح السائل) يدل على أنه اختار لنفسه قبراً في النجف قرب مرقد أمير المؤمنين (ع) (٧٦).

ويؤيده ما ذكره ابن الفوطي في (الحوادث الجامعة) قال: توفي السيد النقيب الطاهر رضي الدين علي بن طاووس، وحمل إلى مشهد جده علي بن أبي طالب (ع) (٧٧).

ابن طاووس ومكانته

من خلال دراسة الفترة التي قضاها السيد ابن طاووس في بغداد يتبين أنه كان يتمتع بمكانة مرموقة يشار لها بالبنان، سواء على صعيد علاقاته بالمجتمع العلمي المتمثل حينذاك بعلماء المدرسة النظامية والمستنصرية ومناظراته معهم، أو على مستوى صلاته بالنظام القائم آنذاك على الرغم من عدم اهتمامه بالشؤون السياسية في تلك الفترة (٧٨).

وكان له مع الخليفة المستنصر من مكانة الصلة وقوة العلاقة ما يعتبر في طليعة ما حفل به تأريخه في بغداد. وكان من أول مظاهرها إنعام الخليفة عليه بدار سكناه، ثم أصبحت للسيد من الدالة ما يسمح له بالسعي لدى المستنصر في تعيين الرواتب للمحتاجين (٧٩) وما يدفع المستنصر لمفاتحته في تسليم الوزارة له، ولعل حب المستنصر - كابيه - للعلويين وعطفه عليهم واهتمامه بشؤونهم، هو السبب في هذه العلاقة الأكيدة القوية، وفي تدعيمها واستمرارها طوال تلك السنين (٨٠).

ويذكر السيد ابن طاووس في مؤلفاته محاولات الخليفة المستنصر لإقناعه بقبول منصب الإفتاء تارة، ونقابة

٧٢ - سورة النساء: الآية ٤٨.

٧٣ - سورة الشورى: الآية ٣٨.

٧٤ - سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

٧٥ - كتاب السبيل إلى إنهاء المسلمين: ص ٥٤.

٧٦ - المصدر نفسه.

٧٧ - السبيل إلى إنهاء المسلمين: ص ٢١٨.

٧٨ - المصدر نفسه: ص ٢٢٤.

٧٩ - المصدر نفسه: ص ٢٤١.

٨٠ - الشورى في الإسلام: ص ١٨.

الطالبين تارة أخرى (٨١) حتى وصل الأمر إلى أن عرض عليه الوزارة فرفضها، مبرراً ذلك بقوله للمستنصر: (إن كان المراد بوزارتي على عادة الوزراء يمشون أمورهم بكل مذهب وكل سبب، سواء كان ذلك موافقاً لرضا الله جل جلاله ورضا سيد الأنبياء والمرسلين أو مخالفاً لهما في الآراء، فإنك من أدخلته في الوزارة بهذه القاعدة قام بما جرت عليه العوائد الفاسدة، وإن أردت العمل في ذلك بكتاب الله جل جلاله وسنة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) فهذا أمر لا يحتمله من في دارك ولا ممالكك ولا خدمك ولا حشمك ولا ملوك الأطراف، ويقال لك إذا سلكت سبيل العدل والإنصاف والزهد: إن هذا علي ابن طاووس علوي حسني ما أراد بهذه الأمور إلا أن يعرف أهل الدهور أن الخلافة لو كانت إليهم كانوا على هذه القاعدة من السيرة، وأن في ذلك رداً على الخلفاء من سلفك وطعناً عليهم (٨٢).

وعاد بعد ذلك إلى الحلة، والظاهر أن عودته كانت في أواخر عهد المستنصر، فبقي هناك مدة من الزمن، ثم انتقل إلى النجف فبقي فيها ثلاث سنين، ثم انتقل إلى كربلاء، وكان ينوي الإقامة فيها ثلاث سنين، ثم عاد إلى بغداد سنة ٦٥٢ هـ، وبقي فيها إلى حين احتلال المغول بغداد. فشارك في أهوالها، وشملته آلامها، وفي ذلك يقول: (تم احتلال بغداد من قبل التتر في يوم الاثنين ١٨ محرم سنة ٦٥٦ هـ، وبتنا ليلة هائلة من المخاوف الدنيوية، فسلمنا الله جل جلاله من تلك الأهوال) (٨٣).

وفي بغداد بعد أن استقر الأمر لهؤلاء أمر أن يستفتى العلماء: أيهما أفضل السلطان الكافر العادل أو السلطان المسلم الجائر؟ فجمع العلماء بالمستنصرية لذلك، فلما وقفوا على المسألة اجتمعوا على الجواب، وكان السيد رضي الدين بن طاووس حاضراً المجلس، وكان مقدماً محترماً، فلما رأى إجماعهم تناول الورقة وكتب بخطه: الكافر العادل أفضل من المسلم الجائر. فوضع العلماء خطوطهم معتمدين عليه (٨٤).

إن كل دارس لحياة السيد ابن طاووس يعرف أن له مقاماً فوق مستوى العقول في قداسة النفس، ووفور العلم، وشدة الاحتياط، والورع غير المتناهي، وأخذ الحذر عما لا يرضي الله سبحانه وتعالى، مع ما تحمله من الجهد في إسعاف الأمة بما يهذبها ويرتقي بها إلى أوج النزاهة. إما بنصائحه البالغة وإرشاداته القيمة، كما تدل عليه رسالته إلى ولده التي أسماها (كشف المحجة).

وإما بإدلاء الحجج والبراهين لمعرفة الدين ومن هم الوسائط في الكشف عنه، كما يرشد إليه كتابه (كشف اليقين) وكتاب (الطرائف) وكتاب (الطرف).

وإما بإلزامهم بالغاية الفذة من الخلقة وهي العبادة لله جل شأنه والتقرب إليه، ويدل عليه كتاب (الإقبال) وكتاب (فلاح السائل) و(جمال الأسبوع) و(مهج الدعوات).

وإما بلفت الأنظار إلى صحيح التاريخ الذي هو العبرة للمعتبر، وداع إلى السير وراء آثار السلف الصالح، والتحذير مما يوجب تدهور الماضين إلى الضعة والسقوط، وينبئ عنه كتابه (الاصطفاء في تاريخ الملوك

٨١ - البقرة: الآية ٢٣٣.

٨٢ - سورة البقرة: الآية ٢٣٣.

٨٣ - سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

٨٤ - سورة الشورى: الآية ٣٨.

والخلفاء).

وإما بالتطرق إلى فقه الشريعة والإرشاد وإلى كيفية استنباط الأحكام من أحاديث آل الرسول (ع) ويدل عليه كتابه (غياث سلطان الوري لسكان الثرى).

إلى غير ذلك من تأليفه القيمة - التي ذكرناها في موضع سابق - وكلها يد بيضاء على الأمة وبها كان شاخصاً أمام أعين القراء، مثلاً بين العلماء، له مكانة خالدة في القلوب.

من قاموس الإمام الشيرازي

الشورى في قاموس الإمام الشيرازي (دام ظله)

نبيل سلطان

قال تعالى: (وأمرهم شورى بينهم) (٨٥) وقال أيضاً: (وشاورهم في الأمر) (٨٦). من المفاهيم التي قدمها القرآن الكريم على أنها صمامات أمان ومنظمات سير لحركة المجتمع الإنساني في طريق التكامل المرصود من قبل الله تعالى، مفهوم الشورى أو المشاورة في الأمر. ولا يخفى على كل مسلم أو على كل من تعرّف على سيرة النبي الخاتم أنّه (صلى الله عليه وآله وسلم) قد اعتمد عملياً المشورة مبدأً في بعض الأحيان خلال فترة قيادته للأمة الإسلامية بداية تشكلها الأول. وهو (صلى الله عليه وآله وسلم) بما أنه الأسوة الحسنة التي أمرت السماء بالافتداء بها والامتثال لأوامرها والانتهاج عن نواهيها، فهو إذ يمارس هذا المبدأ الذي يعتبر خطوة متقدمة على سبيل النهوض بحال الإنسانية جمعاء وتوفير وتعميم العدالة الاجتماعية، إنما يبتغي توضيح السبيل الصحيحة للمسلمين كي يسلكوها من بعد رحيله. ولكنّ الذي يؤسف له أن الأمة الإسلامية بعد أن غادرها الرسول الأكرم، قد أمعنت في ابتعادها عن وصاياه ووصايا وإرشادات أهل بيته الطاهرين (عليهم السلام أجمعين) فصارت تتنصل عن الكثير من المبادئ والخطط التي رسمها الوحي المقدس، ومن بين هذه المبادئ مبدأ الشورى. فلم يعرف المسلمون في دولتهم بعد الرسول وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليهما السلام) المشورة آليةً ومنهجاً في تطبيق الحكم الإسلامي وإدارة الدولة الإسلامية، حيث بلغ الأمر من الفردية والاستبداد ما لا يمكن أن يدونه المؤرخ المنصف على أنه صفحة مشرقة في عمر التاريخ الإسلامي.

ولأجل العودة بالأمة الإسلامية إلى ناصية الحق والسير بها على جادة الصواب، وتعريف الحكومات الإسلامية ما ينبغي أن تنتهجه من مبادئ وسبل للارتفاع بمستواها وموازاة أدائها والدور المناط بها من قيادة الدولة الإسلامية والوصول إلى إدارة العالم إسلامياً، ينهض الإمام الشيرازي بمهمة التنظير والتقديم لمبدأ الشورى كضمانة أساسية لبلوغ المثالية والتكاملية في الإدارة الإسلامية للدولة.

وهو (دام ظله) في سبيل توضيح هذا المفهوم وترسيم معالمه الرئيسية لعملية تطبيق الشورى في الحكم الإسلامي، يحاول الحديث عن الشورى في كتب مختصة بالموضوع تارةً، وأخرى يضمن الحديث عنها بعض كتبه ذات الاهتمام بالقضايا العامة.

ونودّ هنا أن نشير إلى بعض كلماته في هذا الصدد:

١ - يقول دام ظله: (من الضروري أن يكون التنظيم استشارياً، لا استبدادياً. فالاستشارية ما وضعت على

٨٥ - الشورى في الإسلام: ص ٢٠.

٨٦ - المصدر نفسه: ص ٤٣.

شيء إلا سببت تقدمه وازدهاره، بينما الاستبداد ما وضع على شيء إلا سبب تأخره وانهياره)(٨٧).

٢ - (إن التنظيم يجب أن يكون استشارياً من القمة إلى القاعدة. أما قانون (نقد ثم ناقش) فليس إلا قانون المستعمرين والمستبدين. وقد رأينا كيف ارتطم أصحاب هذا القانون الخاطئ في أحوال التأخر والاستعمار والاستبداد، والقانون الصحيح هو: استشر، قلب وجوه الرأي، وخذ برأي الأكثرية حسب موازين الشورى الإسلامية، ثم نفذ)(٨٨).

٣ - أول ما يضعه الإمام الشيرازي من شروط ينبغي توفرها لتحقيق الحكم الإسلامي الحقيقي هو أن يكون (استشارياً، فليس الحكم في الإسلام ديكتاتورياً واستبدادياً، وإنما يجب أن يستشير المسلمون بعضهم بعضاً ويدلوا بآرائهم حول مختلف شؤون هذا الحكم، وينتخبوا الحاكم الذي اجتمعت فيه الشرائط التي قررها الله تعالى)(٨٩).

٤ - وعندما يتحدث الإمام الشيرازي عن الحلول المناسبة للمشكلات التي يمكن أن تعترض تطبيق الحكم الإسلامي العالمي يقول: (ثم من الضروري الالتفات إلى البند الخامس وهو جعل الحكم استشارياً واقعياً لا صورياً. فصورة الأسد لا تفترس، وصورة الحلوى لا تعطي الحلاوة، وصورة الدواء لا تشفي المريض. وأما الواقعيات هي التي تؤثر فإذا جعلنا الحكم استشارياً وأشرطنا كل القوى الموجودة في الداخل التي هي موالية للإسلام من الزعماء والعلماء والخطباء والمتقنين والمحامين والمهندسين والأطباء وغيرهم حينئذ لا تبقى إلا بعض المشكلات وتلك المشكلات لا تستطيع تقويض الحكم ولا الذهاب بسمعته)(٩٠).

٥ - (فالحكم الإسلامي أفضل من الحكم الديمقراطي، حيث تُشرف الأمة على السلطة (أولاً) من ناحية مراجع التقليد (وثانياً) من ناحية نواب الأمة ورئيس الدولة. بينما الحكم الديمقراطي فيه إشراف من الناحية الثانية فقط. ومن الواضح أن وجود وكيلين لإنسان مشرفين على أموره أفضل من أن يكون له وكيل واحد)(٩١).

٦ - (إذا كان القرآن الكريم يوجهنا إلى أن نشاور في أدنى أعمال تربية الولد وهو الفصل في الرضاع، فبشكل أولى يوجهنا نحو الاستشارة في الحكم، فلا يبيح الإسلام لرجل واحد أن يستبد في الأمة)(٩٢).

٧ - واستناداً إلى ثلاث من آيات الذكر الحكيم هي قوله تعالى: (فإن أرادوا فصلاً عن تراضٍ بينهما وتشاور فلا جناح عليهما)(٩٣) وقوله تعالى: (وشاورهم في الأمر)(٩٤) وقوله تعالى: (والذين استجابوا لربهم وأقاموا

٨٧ - الشورى في الإسلام ص ٤٣.

٨٨ - موسوعة الفقه: ج ١٠١ ص ٦٥.

٨٩ - موسوعة الفقه: ج ١٠١ ص ٦٥.

٩٠ - السياسة: ج ٢ ص ٦٩.

٩١ - السياسة: ج ٢ ص ٢٧٠.

٩٢ - المصدر نفسه: ج ٢، ص ٢٨٩.

٩٣ - الحرية الإسلامية: ص ١٣.

٩٤ - الوصول إلى حكومة واحدة إسلامية: ص ٥٧.

الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون)(٩٥).. إستناداً إلى هذه الآيات يقرر الإمام الشيرازي (دام ظله) ما يلي:

أ - أن الشورى مبدأ إسلامي عام لا يختص فقط في المجال السياسي بل حتى في الحياة الأسرية والاجتماعية.

ب - أن للشورى مجالين. الأول: مشورة الحاكم المسلم للمسلمين في الأمور المتعلقة بهم، والثاني: مشورة المسلمين فيما بينهم على إدارة شؤونهم. فهي دعوة الطرفين إلى الشورى، طرف الحاكم وطرف الرعية.

ج - (مبدأ التشاور قائم في الأمور المتعلقة بشؤون المسلمين دون الأحكام الشرعية التي ورد فيها النص)(٩٦).

٨ - (إن الاستشارية سواء في الحكومات الزمنية - مما تسمى بالديمقراطية - أو في الحكومات الإسلامية، هي صمام الأمان. وذلك لأن الناس كما يحتاجون إلى ملء بطونهم، يحتاجون إلى ملء أذهانهم. فكما أن الجائع يخرج على من أجاعه بالإضراب والمظاهرة حيث ورد: (عجبت للفقراء كيف لا يخرجون بالسيف على الأغنياء) كذلك من لا يُستشار يخرج على من أجاع فكره، مهما فرض نزاهة الحكم وكونه مطبقاً لقوانين البلاد، سواء كانت القوانين إسلامية كما في بلد الإسلام أو غير إسلامية كما في البلاد الديمقراطية)(٩٧).

٩ - (لا يكفي للحاكم الإسلامي أن يطبق مبادئ الإسلام وقوانينه بدون تطبيق مبدأ الشورى، الذي هو ركن من أركان الحكم في الإسلام، ذلك لأن الناس عندما يرون أنه لم يطبق قانون الإسلام الذي هو الشورى ينفصون من حوله ثم يثورون عليه حتى إسقاطه)(٩٨).

١٠ - (إن رئاسة الدولة يجب أن تكون بالشورى من ناحية، وبالشروط المقررة في الشريعة الإسلامية من ناحية أخرى)(٩٩).

١١ - (فرئاسة الدولة يجب أن تكون بالشورى. وكفيتها في الحال الحاضر أن الحوزات العلمية الكبيرة - كالنجف وكرلاء وقم وخراسان وغيرها - يلقون بأزمة أمورهم إلى مراجع التقليد المتوفرة فيهم الشروط الشرعية. فإن فرض أنهم اتفقوا على شخص واحد - كما حدث في زمان صاحب الجواهر والشيخ المرتضى والميرزا الأول والثاني والسيد الأصفهاني - كان هو المرجع الأعلى للدولة بانتخاب الأمة له، وإلا كان المراجع المتعددون الذين انتخبته الحوزات العلمية بملء إرادتهم هم المجلس الأعلى لشؤون الأمة)(١٠٠).

١٢ - (فتطبيق الدستور الصحيح والاستشارية، وجهان لعملة واحدة. فإذا رأى المواطن الدستور غير صحيح أو رأى التطبيق غير صحيح علم بوجود الديكتاتورية ولزم عليه أن يعمل لأجل تقويضها لتأخذ مكانها

٩٥ - موسوعة الفقه: ج ١٠٦ ص ٧٢.

٩٦ - المصدر نفسه: ص ٢٩٠.

٩٧ - أعيان الشيعة. ج ٨، ص ٣٥٨.

٩٨ - لؤلؤة البحرين، الشيخ يوسف البحراني ص ٢٤١.

٩٩ - مستدرك الوسائل. ج ٣، ص ٣٥٨.

١٠٠ - لؤلؤة البحرين، ص ٢٤١.

الاستشارية)(١٠١).

١٣ - يشترط الإمام الشيرازي (دام ظله) في الحاكم الإسلامي أن يكون منتخباً من قبل أكثرية الأمة، ويقول مقدماً الدليل على هذا الاشتراط:

(وأما الشرط الثاني - يعني اشتراط أن يكون الحاكم منتخباً من أكثرية الأمة - فلقوله تعالى: (وأمرهم شورى) وقوله تعالى: (وشاورهم في الأمر). فإن إطلاق الآيتين يعطي أنه بدون الشورى لا يصح الحكم، إلا فيما خرج مثل حكم الرسول وحكم الإمام وحكم من عيناه نصاً مثل تعيين الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أسيداً على مكة، وتعيين علي (عليه السلام) مالكا لمصر. فإنه لا مجال للشورى مع النص في الموضوعات، كما لا مجال للشورى مع النص في الأحكام. وحيث إنه لا حكم إلا ورد به كتاب أو سنة - كما ورد بذلك النصوص وقد ذكرنا بعضها في مسألة آنفة - يبقى مجال الشورى في الموضوعات. فما دل على أن الشورى فيه ليس على سبيل الوجوب، نقول بعدم الوجوب فيه، وإلا فظاهر الآية الوجوب ولذا نقول بوجوب الشورى في الحكم)(١٠٢).

١٤ - (كما أن اللازم على الحاكم الإسلامي كثرة الاستشارة. وفي القرآن الحكيم آيات حول الاستشارة... وقد استشار الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حول أمور متعددة في حروبه، كما استشار علي (عليه السلام) في قضايا متعددة)(١٠٣).

١٥ - (الحرية تتوفر في المجتمع الإسلامي على النحو الصحيح بشرطين أساسيين. الأول: شورى المراجع. حيث لو لم يكن ذلك لم يكن الحكم صحيحاً وإن قام به فقيه. وذلك لأن الفقهاء بمجموعهم نواب الإمام (عليه السلام) أو إن مجموعهم نائب نائب. فكل من اختارته الأمة مرجعاً للتقليد وكان حسب الأوصاف التي قررها الله سبحانه على لسان أوليائه المعصومين (عليهم السلام) كان في ضمن الشورى. أما أن يستبد فقيه بالأمر فذلك خلاف الموازين)(١٠٤).

١٦ - وفي حديثه عن مواصفات الحركة الإسلامية الهادفة إلى الوصول إلى حكومة واحدة إسلامية يقول الإمام الشيرازي - دام ظله -: (فاللازم للحركة أن تتخذ من المشورة نهجاً لها حتى مع غير أصدقاء الحركة. فالاستشارة لتطبيب الخواطر وجذبهم إلى ساحة العمل والتخفيف من حدة معارضتهم إن كانوا معارضين للعمل)(١٠٥).

١٧ - (فالدستور الصحيح هو الجسد، والاستقلال (الاستشارية) هو الروح. فإذا حُرمت أمة استشاريتها واستقلالها، ونكبت بالديكتاتور - مع الاحتلال أو بدونه - أصبح الدستور (الصحيح) في خبر كان. وإذا كتب - فرضاً - كان حبراً على ورق، وصارت الحريات اسماً بلا مسمى. ويكون للديكتاتور وأسياده كل الرغائب بينما

١٠١ - فلاح الوسائل / ٧٣.

١٠٢ - الحوادث الجامعة، ص ٢٥٦.

١٠٣ - كشف المحجة، ص ٧٥.

١٠٤ - فرج المهموم، ص ١٢٦.

١٠٥ - السيد علي آل طاووس، ص ٧.

الأمة لهم العرق والجوع والسجون والمشائق)(١٠٦).

١٨ - (لكن اللازم أن تكون المشورة بموازينها، إذ ليس كل أحد يستشار، كما ليس في الأحكام الشرعية استشارة، بل الاستشارة في أمرين:

أ - في الإطار، بعد لزوم أن يكون المحتوى الأدلة الأربعة.

ب - في التطبيقات في مجلس الشورى، والهيئة التنفيذية، والقوة القضائية. ولا حقّ لهم في أن يستشيروا في حكم شرعي، هل يجعلوه كما قاله الشارع أو لا؟ ولا في تطبيق الحكم على الموضوع المتبين أنه موضوع لذلك الحكم، فإن حلال محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وحرامه لا يتغيران إلى الأبد)(١٠٧).

١٠٦ - كشف المحجة، ص ١١٢.

١٠٧ - كشف المحجة، ص ١١٤.

مقالات

الحرية بين الإسلام والغرب

عبد السلام الرفاعي

الحرية: من المفاهيم الهامة في الحياة البشرية، وتستند عليها حالة الاستقرار والتفاهم والبناء في المجتمع، وهي من أولى المفاهيم التي ركزت عليها الديانات وتابعت مسيرتها كأساس تعتمد عليه المسيرة التكاملية للبشر.. ومفهوم الحرية مفهوم ثابت وراسخ في الفكر البشري منذ ان بدأت اقدام الإنسان الأول تدب على سطح هذه المعمورة.

لقد أخذت الحرية أشكال متعددة وتفسيرات شتى خلال حقبات من الزمن، تبعاً للظروف والعوامل المحيطة بالمجتمعات، فلكل مجتمع أو حكومة قائمة رؤيا خاصة وتفسيراً معيناً، وتطبيقاً للحرية بما يتناسب وظروف الحاكم أو عادات وتقاليده المجتمع.

ففي الأنظمة الديكتاتورية، ورغم الاستبداد والظلم القائم على الأمة، تراهم ينادون بالحرية ويضعون لها أسساً تتناسب وطبيعة تسيير النظام، فيحاولون إيهام الناس بأنها النموذج الأسمى في تطبيق الحرية، فترى مصطلحات متعددة من أمثال.. كلاً - وممنوع - وغير مسموح.. إلى غيرها من القوانين الجائرة والتي نتيجتها أن تغص السجون بالناس، لأتفه الأسباب، نتيجة الفهم الخاطيء للحرية، أو طبيعة الأنظمة المتسلطة، والتي تتخذ من الحرية شعاراً لها..

وأما في بعض الأنظمة، والتي تدّعي الحرية، ويطلق عليها - الديموقراطية - فتراهم أيضاً يتناولون هذا المفهوم بصورة خاطئة، فهم ينظرون إليها على أساس الحرية المطلقة الخالية من كل قيد، ولا يتحكم بها القانون، فترى حالات القتل والاعتداء على الحرمات، وتفشي الكثير من العادات والتقاليد الجاهلية، وانتشار الأمراض، بل انهيار المجتمعات بصورة أو بأخرى، وغاية ذلك هو استمرار أنظمتهم باستغلال عواطف الناس، وأحاسيسهم، باعتبار ميل الإنسان إلى كل ما هو فارغ من القيود والقوانين، التي تحد بعض الشيء من طبيعة تعامله مع الحياة.. فمن جانب أن هذه الأنظمة وخاصة في البلاد الغربية وأمريكا، تصوّر للناس بأن الحرية هي الحرية المطلقة الفارغة من القيود، فلإنسان ان يفعل ما يريد، فأخذ الناس في مجتمعاتهم تفسير الحرية المطلقة هذه على أساس أن فعله غير مرتبط بالآخرين، فهو حرّ فيما يمليه عليه عقله وضميره..

ومن جانب آخر ترى الازدواجية في أفكارهم، فتراهم يضعون قيوداً ربما تكون زائدة على مفهوم الحرية الحقيقي، ففي ثورة الفرنسيين - مثلاً - وحين ارتفاع الأصوات المنادية للحرية كانوا هم يقولون بأنه لا حرية لأعداء الحرية ولا بد من إجبار الناس على أن يكونوا أحراراً.. وهذا نوع من أنواع ازدواجية الفهم، وهو بالتالي يقف ضد مبدأ الحرية، وما يشير إلا إلى حالة من القهر والإجبار..

فضابط الحرية عندهم هو: أن تفعل ما تشاء بشرط عدم انتهاك حريات الآخرين، بينما تجد انه لا واقع لهذا القول، فالاعتداء على الحريات نتيجة الممارسات اللاإنسانية باسم الحرية المطلقة قائم لا محالة..

وبعيداً عن الاسهاب في وصف مجتمعاتهم، فما نريد قوله هو أنه لا حرية مطلقة في هذا العالم البشري، ومن ادعى ذلك فهو كذب وهراء، وعلى الآخرين تصفح تاريخ مجتمعاتهم، وأسس قوانينهم الدالة على تحديد هذا المفهوم.

الحرية المطلقة لله سبحانه

فمن يملك الحرية المطلقة إذن؟.. فلا أحد يوصف بالكمال والقدرة التي تؤهله لذلك إلا الله سبحانه وتعالى، الخالق المدبر، حيث قال سبحانه: (إن الله يفعل ما يريد) و (فَعَلْ لِمَا يَرِيدُ).. وهذا دليل على أن الله وحده هو صاحب الحرية المطلقة.. وأما ما عداه فلا... نظراً لخضوعه لحالات الضعف والعجلة وعدم التأني في اتخاذ القرار حيث قال تعالى: (خلق الإنسان ضعيفاً) و (كان الإنسان عجولاً).. وصفات الضعف والعجلة لا تؤهله لامتلاك القدرة على التحرك بحرية تامة فهي أيضاً عبارة عن قيود توضع في طريقه وتحد من حريته...

الإسلام والحرية

أما لو نظرنا إلى الشريعة الإسلامية، وسعة المجالات المتاحة للمتمتع بالحرية، فسوف نجد أنها واسعة إلى درجة الشمولية وفي كافة مواضيع الحياة.

ولا نريد القول بأن الإسلام هو أول الديانات التي نادى بالحرية، وعلى صعيديها الفردي والاجتماعي، وإنما باعتبار كون الإسلام مكملاً للديانات السابقة فقد وضع الخطوط العريضة لهذا المفهوم، كي لا يلتبس على الآخرين الفهم الحقيقي، وسعة المجال المتاح لهذا المفهوم، والذي اعتبره الإسلام ركن أساس في طبيعة التعامل والعطاء وتبادل المنفعة..

فأول ما هاجم الإسلام، الطرق الجاهلية في مصادرة إنسانية الفرد واستطاع ان يعلم الناس ولو بصورة تدريجية على اعتبار مسألة العتق مقابل الرق، هي من أولويات المسائل المهمة، ومن العلل الأساسية التي على أساسها بني الإسلام، وهو تحرير المجتمع من عبودية الأفراد إلى عبودية الله تعالى وحده، باعتباره المشرع الأول وصاحب الكمال الأعظم حيث قال تعالى: (أن اعبدوا الله وحده).

فابتدأت رسالة الإسلام بهذا المنطلق، واستطاعت تحرير الرقاب وجعلت للإنسان قدراً معيناً في معرفة نفسه وطبيعة وجوده، والغرض الحكيم من خلخته باعتباره خليفة الله تعالى لأعمار الأرض وإرساء العدالة، وما نراه اليوم من انتهاء حالات الرق إلا نتيجة لسمو المبادئ الإسلامية التي نادى بها الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)...

ثم توغل الإسلام سريعاً في النفس البشرية وموضوعاتها في ميادين الصراع مع الحياة لأجل التكامل والبناء، فوضع قوانين ثابتة راسخة على مدى الأجيال، وحدد مدياتها بخطوط حمراء لا يسمح باجتيازها، فهي لا تكون عقبة في طريق الأفراد بقدر ما هي بياناً لحدود السلامة من السقوط في هاوية الانحراف والعبودية، والانغماس في متهاتات ثقيد حرية الفرد وتجعله عبداً ذليلاً لا يقوى على شيء...

فالحرية أساس تكويني في وجود الإنسان وغايته، ولهذا جعله الله تعالى مختاراً في فعل الأشياء، وتعتبر الحرية قاعدة أولية ومن ضمن أولويات ما جاء به الإسلام حيث قال تعالى (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً

فامشوا في مناكبها...)(١٠٨) وقال تعالى: (ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر...)(١٠٩).. وكما ورد في الحديث الشريف (كل شيء لك حلال حتى تعرف الحرام منه بعينه فتدعه) وكذلك ورد في الحديث الشريف (كل شيء مطلق حتى يرد فيه نهى).. ولهذا فتعتبر حالة الاختيار هذه نوع من أنواع الكرامة والاحترام والحرية التي منحها الله تعالى للإنسان من أجل مسيرته التكاملية..

الحرية والحدود المرسومة لها

وأما ما ورد من وضع حدود لهذه الحرية، فهو ليس حالة تقييد أو كبح جماح الإنسان في التصرف الحر، وإنما هي حدود وخطوط وقوانين تزيّن مفهوم الحرية، وتكمّل المعنى الحقيقي لها، فهي تصب في مصلحة الإنسان لنلأ يقع في ما يضعه في القيد ويترك نفسه مقيداً بل وعبداً إلى شهواته ونزواته لما فيها من مساوئ لا تتلائم والغاية المرجوة من خلق الإنسان، وهذا ما عرفه الخالق المدبّر وحده، ولهذا نراه لم يترك البشرية بدون قوانين وأنظمة تحدد لها الخطأ من الصحيح والغث من السمين..

وليس من جانب المقارنة مع القوانين الوضعية فلنتناول - مثلاً - حق الممارسة الجنسية، والتي أباح مدعو الحرية المطلقة هذا الحق بصورة خالية من القيود، فنشاهد انهم يمارسون الجنس في الشوارع والحدائق وأمام مرأى الجميع، وبالصورة الحيوانية البشعة، ظناً منهم أنها تصب في مجال حرية الإنسان، غير عابئين بما تسببه هذه المنزلاقات من ردود أفعال سلبية كانهلال الجانب الخلقي في المجتمع وتفشي الأمراض بل والاعتداء على حرية الطرفين، فالرجل وحاله في عدم استطاعته مجابهة شهواته ورغباته وغرائزه، والتي تجعل منه أسيراً لها، تكبله بقيود لا يستطيع تحرير نفسه منها، والمرأة في كون هذه الحالة ضد مكانتها، والهدف السامي من خلقها، فهي اعتداء على كرامتها، وسلب لاختيارها، وجعلها أيضاً أسيرة شهواتها ونزواتها..

بينما ترى الإسلام وضع هذه العملية موضع الاهتمام والاحترام لقيمة الإنسان ولمكانته في المجتمع، ناظراً إلى طبيعة خلقته وكونه ضعيفاً عجولاً، فوضعها ضمن قوانين مبرمجة، كي لا تؤدي بالإنسان إلى الهاوية السحيقة وتنال من إنسانيته وكرامته، ففتن هذه العملية بالزواج الدائم، والزواج المؤقت حيث قال تعالى: (فانكحوا ما طاب لكم من النساء...)(١١٠) وقال تعالى: (فما استمتعتم به منهن...)(١١١) إلى غير ذلك من الآيات المباركات.

وحذر من الزنا باعتباره فاحشة، وسهل هذا القانون إلى أبعد حد يستطيعه الإنسان، احتراماً منه لاختيارية الإنسان وإرادته في الحرية والاستقلال، فلو نظرنا إلى الفرق بين النكاح الشرعي والزنا، لوجدنا ان الفارق هو بضع كلمات يشترطها الشارع على المرأة كـ: (زوجتك نفسي بمهر كذا)، وكلمة واحدة تصدر عن الرجل كـ (قبلت). أما في حاله عدم ذلك يقع المكلف في دائرة الممنوع ومخالفة الشريعة.. فهل ياترى يصعب التلفظ بمثل

١٠٨ - المصدر نفسه، ص ١١٨.

١٠٩ - الفخري في الآداب السلطانية، ص ١١.

١١٠ - الملك: ١٥.

١١١ - الإسراء: ٧٠.

هذه الكلمات لضمان سلامة الدين؟ وهي أساس في رفع الإنسان من هاوية السقوط إلى مستوى الرفعة والمكانة السامية.

ناهيك عن الكثير من المسائل والمفارقات التي تؤدي بالإنسان إلى الحضيض، كشرب الخمر - مثلاً - وما يترتب على ذلك من ذهاب عقله، واقترافه الكثير من المنكرات، وهذا ما حرّمته الشريعة الإسلامية ضماناً منها لحرية الفرد نفسه في عدم الوقوع في دائرة القيد عند معاقبة القانون نتيجة خطأ يرتكبه بحق الآخرين، حيث قال تعالى: (إنما الخمر والميسر رجس والأنصاب والأزلام من عمل الشيطان فاجتنبوه...) (١١٢)، فوصفه بالرجس، وأمر باجتنابه.. بينما وصفه مدّعو الحرية المطلقة بأنه يصبّ في واحة حرية الفرد التامة، كونه مسؤولاً عن نفسه... فكيف ذلك..؟ ومسؤولية الفرد تقع على المجتمع، وكذلك العكس، وعملية التعايش هذه بين الفرد والمجتمع هي أساس لبقاء الأمم والشعوب. فلو فُقد الفرد من المجتمع بسبب ما يصدر منه من تصرفات هوجاء وبسبب انحرافه عن مسيرة الحياة المستقيمة، فسوف يتضرر المجتمع لا محال، ولا يبقى هنالك معنى للإنسان ولا معنى للحرية أيضاً...

إذن، فما نريد استنتاجه من كل هذا وذاك: هو أن الحرية المطلقة والخالية من القيود، هي حرية مزيفة تعيد الإنسان إلى عصر الجاهلية، وتؤدي بالمجتمع إلى التفكك والانحلال، وتجعل من حياة البشر غابة يأكل فيها القوي الضعيف وبالتالي تحطيم أسس الشعوب وخاصة الأخلاقية منها... وأما ما جاء به الإسلام وما أشار إليه بهذا الخصوص من إعطاء الإنسان حرية التصرف والعمل والتفكير بما يتناسب وشأنه ومكانته في المجتمع وبما لا يعتدي على حرّمات الآخرين وما لا يُخرجه من رضا الخالق إلى سخطه في تحليل الحرام وتحريم الحلال، إنما هو نابع من واقع الإنسان، وملامه لكافة ظروفه وعاداته وتقاليده ومقدرته على استدامة الحياة بشكلها الصحيح فـ (حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرام محمد حرام إلى يوم القيامة)، وما ورد من القيود والخطوط الحمراء التي لا يمكن تجاوزها إنما هي من مكمّلات الحرية تضيف عليها صفة الجمال والكمال وتُشعر الإنسان بوجوده ومكانته الحقيقية في المجتمع.

مقالات

الوحدة والتنوع ضرورة معاً

عبدالله الفريجي

إن أحد أهم أهداف حركة الوجود هو الإضافة والإغناء عبر التكاثُر، لكنها ليست إضافة عن اللاشيء بل الانطلاق عن القائم والعمل على إغنائه، وتعد الحياة الإنسانية هي أحد أهم أشكال هذه الحركة الوجودية العامة. فالحياة الإنسانية التي نجدها قد بلغت هذا الطور العظيم من الغنى وصلت إلى ما وصلت إليه عبر تكرار الفرد الإنساني لنفسه بواسطة التكاثُر وإضافة الأفراد الجدد (الأبناء). لكن كل فرد جديد (من الأبناء) لا يشكل مجرد نسخة للوالدين بل هو عبارة عن تكرار للوالدين مع الإضافة والحذف حتى إننا نجد في كل أسرة مجموعة من الأفراد كل منهم يشبه الأصل ويعد في الكثير من صفاته تكرار للأصل إلا أنه في بعض الصفات الأخرى يفترق عنه افتراقاً واضحاً.

التكاثُر والتنوع

وهكذا يمكننا أن نضع أيدينا على إحدى حقائق الوجود الكبرى وهي أن التكرار يأتي لإيجاد المفترق والمختلف في إطار المشترك، فوحدة الإنسان لا تناقض تنوعه لأن التنوع مجرد إغناء بإضافة فرص جديدة للتطور ذلك أن كل فرد هو فرصة بما يمتلك من خصائص مختلفة عن الأفراد الآخرين وأن النوع الإنساني مرشح للامتداد عبره بعد تكثره. ولعل خصائص هذا الفرد هي التي تمكن النوع من الامتداد دون خصائص الأفراد الآخرين لأنها وحدها التي بإمكانها التلاوم مع الظروف البيئية أو الثقافية، وعلى هذا فإن الوجود الإنساني لا يستطيع الاستغناء عن الوحدة أو التنوع وهو محتاج إليهما معاً.

التناغم بين الوحدة والتنوع

ومن هنا فإن التناغم بين الوحدة وبين التنوع ضرورة وهو القدر الذي لا مناص منه، ذلك أن كل فرق واختلاف كما قلنا ضرورة وهو بحاجة إلى فرض بقاءه واستمراره ولهذا فإنه يحتاج إلى التدافع مع الأنواع الأخرى، لأن ذلك جزء من النزوع الطبيعي للبقاء الذي تجد الأحياء نفسها مفضولة عليه، وأن نجاح أي منها في الغلبة والسيادة يكون قد حافظ على المشترك الذي هو موجود بنفس القوة عند الجميع. وهكذا فإن الإنسانية التي تتكاثر إلى أعداد غير محدودة فإنها تختزن نفس القدرة الخلاقة على إنتاج التنوع وهو يعادل الحفاظ على الذات والمشارك، لكن هذه القدرة تحمل معها محذور الصراع والاختلاف الذي قد يؤدي إلى التآكل السرطاني والتنازع وبالتالي تحول الجانب الإيجابي الذي ينطوي عليه التنوع إلى عنصر سالب يهدد

المشترك بالضياح كلياً.

وهكذا فإن التنوع سوف يفقد مضمونه في حال عجزت الإنسانية عن خلق التصالح بينه وبين النزعة إلى التوحد أو إلى فرض البقاء، وكما قلنا إنها نزعة طبيعية توجد تلقائياً عند أي فرد.

الصراع والتنوع

فالصراع الذي هو حقيقة مترتبة على التنوع والذي بواسطته تتقرر سيادة أي حالة من الحالات المتنوعة بعد بروز قدرتها على السيادة والبقاء، سيلغي الفائدة المترتبة على التنوع أي منح البشرية فرصاً عديدة للبقاء، لأنه سيقود إلى إتلاف الأنواع وعدم السماح لها بممارسة دورها كفرصة، ولهذا فإن القرآن الكريم - ملفتاً النظر إلى أهمية كل الفرص - طالب بعدم إهدار أي فرصة - أو الاستهانة بها فقال: (ومن قتل نفساً بغير نفس أو فساداً في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً)(١١٣).

وهكذا فإن القرآن حكم بتساوي جميع الأفراد من حيث الأهمية واعتبر أي فرد معادل للمجموع الإنساني بالقوة لأنه قادر على إعادة الإنسانية إنتاجاً وتكويناً.

الصراع الإيجابي

وإذا كان الصراع حقيقة لا مناص منها لأنها المحك الذي يضع كل فرد من أفراد الإنسانية في موضعه الملائم بعد أن يحكم على قدراته، لكنه يجب أن يبقى ضمن دائرة المسموح به أي أن يكون صراعاً لا يؤدي إلى إهدار أفراد الجنس البشري لأنهم (فرص) كما أسلفنا فلا بد حينئذٍ من الوصول إلى طريق يحقق الغرضين في آن واحد، أي أن يشتعل الصراع لكن دون أن يؤدي إلى إتلاف الأفراد.

وهكذا سينفتح أمام الإنسانية الأفق المشروع للصراع وهو ما يسميه القرآن (فاستبقوا الخيرات)(١١٤). وهكذا يعني التحول في الصراع من الوتائر التقليدية أي صراعات الإبادة والعنف لإثبات التفوق وإثبات القدرة إلى الصراعات الإيجابية وتمكينها من أن تنطبق على كل جوانب الحياة بلا أي تفاوت ففي مجال الصراع مع الطبيعة فإن ميدان التقنية سيكون ميداناً للصراع من أجل المزيد من خلق فرص الوجود والحياة عبر القضاء على المشاكل والصعوبات وبالتالي إثبات قدرة الفرد أو الأفراد على البقاء وهكذا بالنسبة لبقية المجالات الأخرى.

التنوع في الرأي

غير أن مجال الرأي والفكر والمعتقد يبقى المجال الأكثر قدرة على إثارة النزاعات والدفع باتجاه الإيجابية، لأنه أصلاً قائم على ادعاء امتلاك الحقيقة المطلقة وأن الآخرين هم الباطل المطلق، ولهذا لا مجال لأي حوار أو

١١٣ - النساء: ٢٤.

١١٤ - المائدة: ٩٠.

لقاء فيكون الصراع حلاً وحيداً لإلغاء التنوع وفرض الوحدة.

وهكذا نصل إلى أساس النزاعات والصراعات العنيفة إذ إنه ليس التعدد والتنوع في الآراء والأفكار بل الأفكار المسبقة التي تسقط بلا محاكمة أو دليل على الخصم، ولهذا فإن الإسلام حين وضع أرضيته الفكرية رفض أي أحكام مسبقة ووضع جميع البشر والأفكار على طاولة المساواة وحدد سبلاً وطرقاً لإثبات الفكرة الصحيحة وفرزها عن الخاطئة، ومع ذلك فإنه لم يشترع العنف كطريق للوصول إلى حل التنوعات بل آن بالحوار القائم على حسن التعاطي والجدال بالحسنى، ولرفض الإسقاطات قال تعالى: (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم...) (١١٥).

صراع الأفكار

فالإسلام يرفض بناء الأحكام على أساس المعطيات الظنية ويؤكد على أن تكون مقدمات الأحكام مقدمات يقينية ولا يكفي مجرد الحكم بصحة ما بين أيدينا بل لا بد من ضرب الأفكار بأضدادها حتى تظهر قوتها وحصانتها، وهذا يعني أن يبقى الصراع دائراً ضمن دائرة العقل والحوار، ويؤكد هذا المبدأ الإمام الشيرازي حيث يؤمن بضرورة: (اتباع سياسة اللاعنفي في كل تحرك سواء كان قبل الوصول إلى الحكومة الإسلامية الواحدة أم بعدها) (١١٦).

فالصراع في الرأي صراع (غير عنيف) يعتمد على الدليل وعلى الحجة وهذا طبعاً له منافع كبيرة وأهمها حركة العقل لإثبات الذات من خلال الصراع مع العقول الأخرى حيث يؤدي إلى نضج الأفكار وتطور العقل وتشعب المعارف والعلوم.

صراع الأفكار في وعاء الحرية

ولا يمكن للآراء أن تتصارع بحرية دون أن تكون هناك أجواء تساعد على تقديمها من غير إرهاب أو قمع، ولهذا فإن الإمام الشيرازي (دام ظله) يقول: (فاللزام إعطاء الحريات إلى أبعد حد في إطار الإسلام، فالأحزاب والتجمعات والزراعة والصناعة والسفر والإقامة وإبداء الرأي وغيرها كلها حرة إلى درجة لا يبلغ ما منحه الغرب للناس عشرينها) (١١٧).

بل إن الإمام الشيرازي يسقط صفة الإسلام عن الحكومات - حتى لو ادعت ذلك - إذا لم تركز على معالم معينة تقف الحرية كأحد أهم دعائمها فيقول: (والحكومات التي تدعي الإسلام ولا تطبق حكم الإسلام في الأخوة الإسلامية والأمة الواحدة والحريات الإسلامية، هي حكومات بعيدة عن الإسلام) (١١٨).

١١٥ - سورة المائدة: الآية ٣٢.

١١٦ - سورة البقرة: الآية ١٤٨، المائدة: الآية ٤٨.

١١٧ - سورة البقرة: الآية: ١١٣.

١١٨ - (تحويل المعنويات الإسلامية من القوة إلى الفعل) لآية الله العظمى الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي دام ظله، ص ٥٦، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

وهكذا نلاحظ تأكيد أهمية التنوع ومنح الفرص الكافية للآراء المتفاوتة لتأخذ طريقها للسيادة إذا تمكنت من التأثير، والالتفات إلى ضرر التعصب وإصدار الأحكام المسبقة على الآخرين لنزع الشرعية عن آرائهم كأبرز عوامل الأضرار بالبشرية سواءً في الجانب الفكري أم في الجوانب الأخرى، الأمر الذي دفع في النهاية إلى المطالبة بتكريس هذا التنوع حتى في الحوزة العلمية عبر السماح بقيام مؤسسة تؤمن بهذا التنوع وتطبقه وهي مؤسسة شورى الفقهاء التي تعدّ من أهم أشكال التنوع الإنساني، ولذلك دعا إليها واعتبرها الشكل الأهم من أشكال التنظيم المرجعي.

وفي النهاية فإن التنوع ضرورة للحفاظ على البقاء للنوع والفرد والفكر والرأي وكل شيء وهو شكل خلقه الله العالم بكل شيء.

المسلمون في العالم

المسلمون في ألمانيا

تعود علاقة الألمان بالإسلام إلى القرن الثامن عشر، وتحديدًا إلى عهد السلطان محمود الثاني (١٧٣٠ - ١٧٤٥) حين استعان الألمان البروسيون بالفرسان المسلمين لتدريبهم على الفروسية حتى بلغ عدد هؤلاء الفرسان في الجيش البروسي الألماني (١٠٠٠) فارس مع نهاية القرن الثامن عشر. وقد قام هؤلاء الفرسان، وهم من أصول إسلامية تركية بالعمل على نشر الإسلام في ألمانيا، وقد بدأ هؤلاء أولاً بإنشاء أماكن للصلاة وذلك بدءاً من سنة ١٧٣١ م.

يقول الأستاذ عبد الوهاب واغندر - وهو مسلم ألماني - أنه في عام ١٧٣٢م أمر قيصر ألمانيا (فردريك ويلهم) ببناء مسجد برلين لأجل الجنود المسلمين الذين يعملون تحت لواء إمبراطوريته. ويؤكد الأستاذ عبد الوهاب، أن الفرسان المسلمين قد قرروا بعد الانتهاء من خدمتهم في الجيش الألماني البقاء في ألمانيا والتزوج بالنساء الألمانيات وتأسيس قواعد إسلامية، كانت البذور الأولى لاستقرار الإسلام في هذا البلد الأوربي. وهذا ما حدا بالقيصر (كارل ثيودور) إلى أن يقوم هو الآخر بتأسيس مسجد في إحدى المدن الألمانية بالقرب من (هايلد بيرغ).

أما أول شخصية ألمانية اعتنقت الإسلام في ألمانيا، فكانت حسب المصادر الألمانية (أدولفون فردريك) سنة ١٨٣٥، وقد ظهرت هذه الشخصية فيما بعد في الجيش العثماني في إسطنبول ثم في شمال إفريقيا. وتلاه الدكتور (سيشر) المختص في الدراسات الإفريقية والذي اعتنق الإسلام سنة ١٨٧٥ وأصبح اسمه بعد اعتناقه للإسلام (محمد أمين باشا).

ثم جاءت المرحلة الثانية من انتشار المسلمين في ألمانيا، وهي مرحلة نزوح آلاف من المسلمين السوفيت إلى ألمانيا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية.. وكانت المرحلة الثالثة لتضاعف عدد المسلمين في ألمانيا هي المرحلة التي ابتدأت في منتصف الخمسينيات ولا تزال مستمرة حتى الآن... وهي مرحلة اتسمت بالهجرة العمالية من المسلمين القادمين من تركيا بالدرجة الأولى وأبناء شمال إفريقيا وشعوب الشرق الأوسط، حتى بلغ عدد المسلمين في ألمانيا الغربية اليوم أكثر من ثلاثة ملايين مسلم، نصفهم من الأتراك تقريباً.

والى جانب هؤلاء هناك حوالي (٢٠) ألف مسلم من أصل ألماني اعتنقوا الإسلام ولهم جمعيتهم ومجلتهم الصادرة باللغة الألمانية وتحمل اسم (الإسلام). بل هناك مصادر تتحدث عن وجود (٥٠) ألف معتنق للإسلام في ألمانيا، يضاف إلى هذا العدد عدد مجهول من النساء الألمانيات اللاتي اعتنقن الإسلام بحكم زواجهن من مسلمين وخاصة الأتراك.

يقول الأستاذ (كلاوس كرايزر) وهو أستاذ بجامعة ميونيخ في دراسة له بعنوان (الإسلام في ألمانيا ومسلمو ألمانيا): أن الإسلام في ألمانيا إسلام تركي، أي أن جل المسلمين في ألمانيا من أصول تركية.

ويلاحظ المهتمون بالدراسات الإسلامية في ألمانيا الغربية أن الأتراك في ألمانيا وبقية البلدان الأوربية

الأخرى أكثر تنظيماً وأكثر فعالية، ولكنهم أقل اندماجاً وسط المجتمعات الأوروبية، كما أن الجالية الإسلامية التركية أكثر تديناً من بقية الجاليات الإسلامية الأخرى وخاصة بالنسبة لألمانيا الغربية حيث يؤدي ٥٨% من أتراك ألمانيا صلاة الجمعة ويؤدي ٤٥% الصلوات الخمس، وذلك بناءً على دراسة قامت بها هيئة إسلامية.

أماكن تواجد المسلمين في ألمانيا

يتوزع المسلمون على كبريات المدن الألمانية مثل (هامبورغ) و(فرانكفورت) و(شتوتغارت) و(هانوفر) و(ميونيخ) و(برلين الغربية). وفي برلين الغربية هناك حوالي (١٠٠) ألف تركي و(٥٠) ألف مسلم من مختلف بلدان الشرق العربي ومغربه. وفي (كولن) نجد (٦٠) ألف تركي. وفي مدينة (هامبورغ) هناك (٤٠) ألف مسلم و(١٤) مسجداً ومصلى، مقابل (٨٠) ألف مسلم في فرانكفورت مع مدرسة إسلامية.

وتذكر الدراسات الحالية التي نشرها الألمان أن في ألمانيا حوالي (٢٥٠) جمعية دينية إسلامية وعشرات المراكز الإسلامية. وتؤكد هذه الدراسات أن معظم الجمعيات الإسلامية أسسها الأتراك. وإذا كانت فرنسا تلقب ببلد الألف مسجد و٦٠٠ جمعية إسلامية، فإن ألمانيا تلقب ببلد ٧٠٠ مسجد ومركز إسلامي.

وهناك حوالي ٢٤% من المسلمين منضوين تحت لواء الجمعيات الإسلامية على غرار بلجيكا والنمسا وإسبانيا. كما أن مسلمي ألمانيا لا يملكون إعلماً يتحدث عن نشاطهم، وما يصل منهم هو نشرة (الرائد) وتصدر في (كولن). كما أن الألمان المسلمين تصدر لهم مجلة دورية من مدينة (ميونيخ) تحمل اسم (الإسلام) وهي باللغة الألمانية وتوزع على نطاق ضيق وتصدر هذه المجلة منذ سنة ١٩٧٦.

وقد قام بعض العرب بإنشاء دور نشر عربية في بعض المدن الألمانية. فقد تأسست في مدينة (كولن) دار نشر تسمى (منشورات الجمل) وقد أصدرت عدة كتب وكراسات. وقام (حمدي الخياط) وهو عراقي يحمل الجنسية الألمانية بإصدار مجلة (بريد الشرق) وكتب باللغة العربية، كما نشر القرآن الكريم في طبعة أنيقة.

المشاكل التي تواجه مسلمو ألمانيا

هناك عدة مشاكل يعاني منها المسلمون في ألمانيا على صعيد تجمعاتهم أو في علاقاتهم مع الألمان منها:

- ١ - عدم وجود كتب عن الإسلام باللغة الألمانية. يقول الأستاذ عبد الوهاب واغرن: إن سبب عدم انتشار الإسلام في ألمانيا بكثرة، يعود إلى قلة الكتب الإسلامية المترجمة للغة الألمانية، وعجز المسلمين الذين يعيشون في ألمانيا عن شرح الإسلام للألمان. ويعزو عبد الوهاب واغرن سبب عدم تأثير المسلمين في الألمان إلى عدم فهم المسلمين للعقلية الألمانية وكيفية التعامل معها، والمطلوب من الدول العربية والإسلامية أن تمدنا فقط بالكتب والمراجع والمطبوعات الإسلامية، ونحن في أمس الحاجة إلى ترجمة جديدة لمعاني القرآن الكريم باللغة الألمانية. ومن الجدير بالذكر أنه توجد في ألمانيا الغربية اليوم (٤٤) ترجمة لمعاني القرآن الكريم بالألمانية منها سبع ترجمات متداولة وليس بينها ترجمة واحدة حسب المصادر التي اطلعت عليها يمكن الاعتماد عليها والاطمئنان إليها.

- ٢ - وجود الأجواء المعادية للإسلام والمسلمين في ألمانيا بسبب تغلغل اليهودية في السنوات الأخيرة في أجهزة الإعلام الألمانية. وصحف (شينغر) وإمبراطوريته الإعلامية التي تسيطر على العقلية الألمانية، تقود

باستمرار حملات ضد المسلمين. ولعل الذي جعل الحكومة الألمانية لا تعترف بالدين الإسلامي، يعود إلى حد كبير للضغط اليهودية في حين أنها اعترفت بالديانة اليهودية مع أن الإسلام هو الدين الثاني في ألمانيا بعد المسيحية.

ويقول أحد المشايخ في تعليقه على عدم اعتراف ألمانيا بالديانة الإسلامية: (إن الألمان يشترطون للاعتراف بأية منظمة أو دين أن يبلغ عدد أتباع هذا الدين أكثر من (٢٠) ألف نسمة، وأن يكون الدين المعترف به ديناً قديماً، وتساعل في الأخير: ألم تتوفر هذه الشروط في الإسلام والمسلمين الذين يقدر عددهم بأكثر من (٣) مليون نسمة، ودينهم سماوي قديم يصل عدد أتباعه ومعتنقيه في العالم إلى أكثر من مليار نسمة، في حين لا يزيد عدد اليهود في ألمانيا عن (٣٠٠) ألف نسمة وعددهم في العالم لا يتعدى (٢٠) مليون نسمة ومع ذلك تعترف بهم ألمانيا، ولهم هيناتهم وشخصياتهم ومدارسهم ومعاهدهم وإعلامهم، ولهم شخصيات تمثلهم عند الحكومة الألمانية تمثيلاً رسمياً في حين لا أحد يتكلم باسم الإسلام والمسلمين عند الحكومة الألمانية).

٣ - جانب آخر من العداء للإسلام والمسلمين يتمثل في أن شخصيات سياسية ألمانية تشغل مناصب هامة في الحكومة والبرلمان ما انفكت تهاجم المسلمين وتضيق عليهم الخناق.

يقول (توماس شرودر) عضو البرلمان الألماني عن الأتراك: (لقد ابتلعت منطقة الزوهر على مدى (٢٠) سنة كل موجات الأجانب دون أن تخلف أثراً، لكن اندماج الأتراك خلال (١٥) سنة لم يتقدم نحو الأمام خطوة واحدة، إن المشكلة مع الأجانب هي مشكلة مع الأتراك).

أما وزير التربية في مقاطعة بافاريا فإنه يمنع دخول التربية الإسلامية في مدارس المقاطعة لأن القرآن (يخالف الدستور الألماني) على حد تعبيره.

٤ - يتعرض أبناء المسلمين إلى سياسة تنصير في دور الحضانة والمدارس التي يضطر المسلمون إلى إرسال أبنائهم إليها، لعدم وجود مدارس ودور حضانة إسلامية. ويقوم رجال الدين المسيحيون بتلقين الأطفال تعاليم المسيحية المشوهة، مما جعل الأطفال المسلمين في هذه الدور والمدارس يعرفون عن الدين المسيحي أكثر مما يعرفون عن الدين الإسلامي.

٥ - مشكلة أخرى يعاني منها المسلمون في ألمانيا، وهي عدم اندماجهم في المجتمع الألماني بصورة تسهم في انفتاح الآخرين عليهم والتعرف على الإسلام.

يقول غلام نوافضيل الأمين العام لمنظمة إسلامية كبيرة في ألمانيا هي (مجلس الإسلام): إنه لا يعتبر الاندماج في المجتمعات عملية من جانب واحد.. وأضاف: يجب أن يحدث ذلك مع المحافظة على هوية دينية وثقافية، وبهذا نكون نحن المسلمون نستند على ثقافة غنية جداً.

وأعرب رئيس المجلس المركزي للمسلمين في ألمانيا (د. نديم إلياس) عن طموحاته وآماله بدمج المسلمين في ألمانيا بالشكل المناسب، وأعرب عن ضرورة وجود حوار مكثف - ولكن موضوعي - بين السلطات وممثلي المجموعات الإسلامية البارزة بشأن معاملة المسلمين على ذات الأسس التي تعامل بها الطوائف الدينية الأخرى. وأعرب كذلك عن أمله بأن يقوم المسلمون كأشخاص أو كمجموعات في المساجد والنوادي، بممارسة المزيد من الانفتاح على المجتمع وإظهار المزيد من الشجاعة في القيام بنشاطات مشتركة مع المجموعات التابعة للكنائس المسيحية واليهودية والاتحادات والأحزاب لأن ذلك يصب في مصلحة الاندماج.

وبالنسبة للدكتور نديم إلياس فإن أهم إجراءات تشجيع الدمج على المدى البعيد هي تعليم الدين الإسلامي.. ويقول: إن ذلك قد يسهم في خلق جيل من المسلمين الجدد واعين لهويتهم وقادرين على الاندماج، ولا يعانون من تناقض بين كونهم مسلمين وألمان في آن واحد.

إحالات

١ - الإسلام في أوروبا الغربية/ سعدي بزيان.

٢ - مجلة النور، العدد ٥٨.

٣ - جريدة الحياة، العدد ١٣٤٥٧.

شخصية العدد

الشيخ الخطيب محمد علي المحفوظ

أجرت مجلة (الكلمة الطيبة) لقاءً مع سماحة الخطيب الشيخ محمد علي المحفوظ تناول القضايا التي أثارتهما المجلة في أعدادها السابقة والتي تتركز حول تطوير أساليب الخطابة والمنبر الحسيني وفق المعطيات الجديدة لعالم اليوم جاء فيه:

الكلمة الطيبة: سماحة الشيخ المحفوظ، نرحب بكم في مجلة الكلمة الطيبة التي أخذت على عاتقها مهمة تسليط الأضواء على قضايا المنبر الحسيني والإرشاد والتبليغ الإسلامي بصورة عامة وباعتباركم من الخطباء الذين عرفتهم المجالس الحسينية وقطعت بعض المراحل الهامة في هذا المجال نود أن تحدثونا عن تجربتكم الشخصية في هذا الحقل الثقافي الإعلامي الهام في حياة المسلمين وأتباع مذهب أهل البيت على وجه الخصوص. البداية المحفزات... المعوقات.. المسيرة الحالية؟

الشيخ المحفوظ: بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين سيدنا محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين. لاشك إن قضية الإمام الحسين (ع) وثورته المباركة لها من عوامل الجذب والتأثير ما يمكن أن يؤثر حتى في الجمادات، وكما نعرف في الروايات انه حتى الحجر بكى على الإمام الحسين (ع)، ولذلك فإني أرى إن الحافز موجود بشكل طبيعي وإن من لا يتفاعل مع قضية الإمام الحسين (ع) فهذا راجع إلى قلة توفيق، واحمد الله عز وجل أن وفقني ومنّ عليّ بفضلله لكي أكون أحد خدام المنبر الحسيني الذي اعتبره مسؤولية كبيرة جداً أسأل الله سبحانه أن يوفقني في تحملها وأداءها بشكل يرضي الله ورسوله(ص).

الكلمة الطيبة: برزت في الآونة الأخيرة وبعد التطورات الاتصالية والمعلوماتية ظاهرة التحدي الثقافي على كل الصعد حيث تشكلت المنابر الثقافية والسياسية والدينية بصورة غطت على النشاط الإسلامي الذي كان يعاني أصلاً من الضعف في هذا المجال، ما هو الدور الذي يمكن أن يؤديه الخطباء في مواجهة هذا التحدي؟

الشيخ المحفوظ: إن الحركة الجهادية للإمام الحسين (ع) وعطاءاتها التي ليس لها مثيل على صعيد التضحية والوفاء والسماحة والبطولة، اتصفت بعدة تجسدت في الإمام الحسين (ع) وأهل بيته وأصحابه وأرست نواة للمدرسة الإسلامية الحقيقية، وكل ما أفرزته ثورة الإمام الحسين (ع) من تراث فكري وثقافي لا يمكن لأي ثقافة أن تتجاوزه أو تغطي عليه، حتى مع تعدد المنابر الثقافية والسياسية والدينية، ذلك لأن القضية الحسينية هي قضية متحركة وبها من القيم الفكرية والشحن العاطفي والبطولي ما يكفي لأن يقلب الموازين ويحرك المجتمع في كل جوانبه، وهذا ما نلاحظه من تأثير أيام عاشوراء التي هي أيام الثورة الحسينية المباركة، حيث تطفئ المظاهر الحسينية على الجوانب الحياتية فتصبغها بلون الدم الثائر والسواد المتشح بالحنن. ولكن مما

لاشك فيه إن على الخطباء أن يعملوا على تطوير خطابهم بما يتناسب مع حجم القضية الحسينية وموقعها المميز في تاريخ الأمة، وهنا أود أن أشير إلى مسألة مهمة فأننا أرى إن القضية الحسينية المباركة هي بحد ذاتها تحد كبير لأي خطيب لا يستطيع أن يستوعب حجمها وأهميتها ومدى تأثيرها على الناس، ولذلك على كل خطيب أن يعمل بجد لكي يرتقي إلى مستوى هذه القضية الخالدة.

الكلمة الطيبة: ما هي برأيكم الطرق الأفضل للارتقاء بمستوى المنبر الحسيني من حيث الطرح الحضاري الذي يجعل منه مصدراً - كما كان طيلة قرون من الزمن - للثقافة الإسلامية ورمزاً من رموز التغيير في المجتمعات؟

الشيخ المحفوظ: لا يحتاج المنبر الحسيني للارتقاء لكي يكون مصدراً للتغيير إلا إذا كان غير مرتبط بالإمام الحسين (ع) وثورته المباركة، أما إذا قلنا المنبر الحسيني فينبغي أن يكون هذا المنبر ممثلاً وناطقاً بقيم ومفاهيم ثورة الإمام الحسين (ع) التي هي قيم الدين والرسالة حيث يقول رسولنا الأكرم (ص) ((حسين مني وأنا من حسين)). وأنا أرى أن المشكلة تكمن في فهمنا لرسالة المنبر الحسيني الذي لا ينبغي أن يتحول إلى منبر للخطيب أو القارئ يلقي من خلاله آرائه وأفكاره وإنما ينبغي أن يرتبط المنبر الحسيني بالقضية الحسينية التي هي جوهر الرسالة الإسلامية والدفاع عن قيمها فعلى الخطيب أن يعبر عن رأي الدين من خلال آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول (ص) وأهل بيته المعصومين (ع). حيث يقول رسول الله (ص) ((إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبدا)).

وفي القرآن الكريم وأحاديث الرسول (ص) وأهل البيت (ع) من الطرح للحضارة ما هو متجدد وفاعل في كل زمان وعصر، ما يكفي لتغيير واقع الأمة المتخلف والنهوض بها على مختلف الأصعدة الفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية. إننا نمتلك بأيدينا أحد أقوى عوامل التغيير والتأثير في مجتمعاتنا وهو المنبر الحسيني إذا عرفنا كيف نرتقي إلى مستوى القضية الحسينية التي تعلمنا العزة والكرامة والشرف والدفاع عن الحق ومقاومة الباطل والظلم والطغيان، وتحرك الوجدان وتهز الضمانر.

وأرجو من الله العليّ القدير أن نرتقي إلى مستوى هذه القضية المباركة حتى نستطيع أن نغذي من تعاليمها وقيمها أنفسنا ومجتمعاتنا على طريق التحرر والاستقلال والثبات على الدين العظيم.

الكلمة الطيبة: ما هي عوامل نجاح الخطيب وفق تجربتكم في هذا المضمار؟ وما هي الأسباب وراء ظهور عدد قليل من الخطباء الناجحين عبر هذه المسيرة الطويلة؟

الشيخ المحفوظ: في البداية أوصي نفسي وأخواني العاملين بتقوى الله عز وجل والتعلق به والتوكل عليه وكذلك أن يجعل الخطيب مجالسه قربة لله تعالى وبنية خالصة، وأن يكون معبراً عن رأي القرآن الكريم وأحاديث الرسول (ص) وأهل بيته المعصومين (ع) وأن لا يخشى في الله لومة لائم فلا يجاري الناس فيما يريدون، على مقولة (حشر مع الناس عيد)، والذي يرد عليها الإمام الحسن الزكي المجتبي (ع) قائلا: (وهل حشر مع الناس في جهنم عيد؟)، أن يخضع للباطل وإنما بما يملئ عليه الدين الحنيف وتعاليمه، وأن يكون عاملاً في سبيل الله ومجاهداً على طريق ذات الشوكة ضد الطغاة والظلمة، لأن الإمام الحسين (ع) إنما قام بثورته المباركة ضد الظلم والطغيان والاستبداد والفجور الذي يمثل ظاهرة شيطانية يمكن أن تتكرر في كل العصور، فإذا ماتكررت وجب علينا الجهاد والعمل ضدها والثبات على الحق.

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يغفر لنا ذنوبنا وأن يعصمنا من الفتنة وأن يجعلنا ممن ينتصر بهم لدينه ولا
يستبدل بنا غيرنا وأن يغير سوء حالنا بحسن حاله.
والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين.
أخيراً تقبلوا فائق تحياتنا ودعائنا لكم بالموفقية والنجاح لخدمة الإسلام والمسلمين..

قراءة في كتاب

نحو يقظة إسلامية

حيدر البصري

هناك ركانز أساسية لا يتسنى لمن يحمل مشروعاً نهضوياً - بغض النظر عما يحمل من عقيدة - أن يتجاوزها لمكان أهميتها لكل حركة إصلاحية تهدف إلى تغيير الوضع الذي عليه المجتمع. فمن تلك الركانز ما يتعلق بذات المجتمع، حيث يعد امتلاك المجتمع الوعي اللازم لتقرير مصيره وتغيير الواقع الذي يعيشه، من أهم الأسس للقيام بنهضة إصلاحية فالمسألة تتعلق بالاستعداد الذي يحمله المجتمع لتحمل مسؤولية. ولا أحسب أن هناك من المجتمعات من لا يملك الاستعداد اللازم للقيام بخطوة كهذه مادام يمتلك العقل الذي يؤهله لوعي مسؤوليته، اللهم إلا تلك المجتمعات التي جمدت عقولها كما حصل ذلك في فترات من التاريخ وليس بعيداً عنا تاريخ السود في أميركا الذين وصلوا مرحلة من الانهزام وانعدام الوعي بحيث كان الفرد منهم يذهب خفية إلى مالكة الأبيض فيصرح له بأنه لم يكن على استعداد للتحرر ولكن ماذا يفعل لمن قاد حركة تحرر السود؟! حركة تحرر السود؟!!

إن المجتمع الذي يصل إلى هذه الدرجة من الانحدار يكون قد أخرج نفسه خارج إطار القوانين التي تحكم المجتمعات البشرية. هذا بالنسبة لما يتعلق بالمجتمع من ركانز النهضة.

المصلح الناجح

أما ما يتعلق بـ(المصلح) فالأمر الأهم هو وعيه بأحوال المجتمع وما يحتاج إليه أولاً، ثم علمه وثقافته التي تؤهله لأن يوقف المجتمع على ما له وما عليه، والأهم من ذلك ما يجب أن يكون عليه وضعه. علاوة على ذلك يجب أن يحمل المصلح حباً لمجتمعه وحرصاً عليه بحيث يكون تغيير أوضاع المجتمع شغله الشاغل ويحرص عليه حرصه على أتمن الأشياء، ويكون مشروع عمره الأول، ولو لم يكن المصلح حاملاً لمثل هذه الصفات فإن حركته الإصلاحية ستمنى بالفشل لا محالة حتى لو تهيأت له الظروف بحيث تسلم زمام الأمور في مجتمعه، وتاريخنا وعصرنا الحاضر مليء بالشواهد التي تدل على ذلك مما لا حاجة إلى ذكرها لوضوحها. فمن يحمل شروط المصلح الحقيقي قليل، ومن ضمن هذا القليل سماحة آية الله العظمى الإمام السيد محمد الشيرازي (دام ظله). فهو من القلائل الذين تجاوزوا حدود اختصاصهم في الفقه والأصول لينزلوا إلى الحياة الاجتماعية، ويحملوا مشروعاً نهضوياً يحاول أن يرتفع بالمجتمع الإسلامي من كونه مقهوراً لا يمتلك من إرادته شيئاً يمكنه من خلاله أن يساهم في إدارة أمور نفسه وحل مشاكله، إلى مجتمع يمتلك المبادرة والأهلية اللازمة لإدارة نفسه من دون وصاية من أحد ممن يكنّ له العداء - الاستعمار - أو من يحذو حذوه في ذلك. لقد طرح سماحة الإمام الشيرازي (حفظه الله) أفكاره النهضوية والتوعوية من خلال بعض الكتب من قبيل: ممارسة التغيير، والصياغة الجديدة، والسبيل إلى إنهاض المسلمين، وكتب أخرى كثيرة من ضمنها الكتاب الذي

نحن بصدد قراءته (نحو يقظة إسلامية) الذي يحمل بين طياته مشروعاً نهضوياً (كتب لأجل تحضير المسلمين للتقدم السريع لأمرين):

(الأول: نجاة الشعوب المضطهدة المبتلاة بأيدي الجبابرة الطغاة) حيث يتحرق سماعته على ما يرى من أوضاع مزرية يعيشها المسلمون إذ (من المؤسف حقاً أن يرى الإنسان ألف مليون مسلم في المؤخرة، حين يرى مئة مليون انكليزي في المقدمة، أو أن يرى الإنسان ألف مليون مسلم لا يملكون حولاً ولا طولاً، في حين يرى خمسين مليون فرنسي يملكون أمر غيرهم فضلاً عن أمرهم).

وثانياً: (نجاة المسلمين أنفسهم من حياة الذلة والمهانة).

في هذا الكتاب يطرح المؤلف دام عزه مشروعاً متكامل لا ينقصه سوى العمل به، ذلك العمل الذي بدونه لا يعدو أي مشروع - مهما كانت أهميته وعظمته - أن يكون حبراً على ورق. وبمقتضى استناد مشروع المؤلف إلى الوحي الإلهي، والتشريع الصادر عن الحق، نجده متفانلاً بتأثير المشروع أثره فيما لو تهيأ له التطبيق فنجد لا يخفي تفاؤله قائلاً: (وإني أحسب أنه لو تم العمل بهذا الكتاب - الذي يحمل مشروع النهضة - قفز المسلمون في مدة غير طويلة إلى سيادة العالم، سيادة صلاح وإصلاح). فيشير في عبارته الأخيرة إلى النية الحقيقية للإسلام في حكم الشعوب، لا بأسلوب التسلط والتحكم، وإنما بالأسلوب الذي تفتقر إليه أكثر القوانين من اللين والتسامح.

إن نظرة إلى التاريخ الذي كتب فيه الكتاب أي ما قبل (٢٩) عاماً يدلنا على أن سماحة الإمام الشيرازي كان منذ شبابه يحمل هموم المسلمين، ثم إنه - وفي الوقت الذي كان الكثير يغط في نوم عميق غافلاً عما يحاك من المؤامرات وينسج ضد الإسلام والمسلمين - كان واعياً أشد الوعي لما يجري فكان يقابل ذلك بحملات التوعية التي ضمت مشاريعه النهضوية.

دور المرأة في ممارسة التغيير

إن مجتمعاتنا الإسلامية كانت ولا زالت تعاني الكثير من عقدة المرأة، ولم تستطع التخلص من رواسب ثقافتنا الشرقية التي كانت تحمل في الأعم الأغلب نظرة دونية إلى المرأة، بحيث لم يكن الدين الإسلامي قد تمكن من قلوب جميع أبنائه بحيث يمكنهم التخلص من هذه النظرة التي يرفضها الإسلام، اللهم إلا القليل من أبناء المجتمع الإسلامي..

وهذا الكلام لم يكن ليشمل عامة الناس فحسب، وإنما هناك من أهل العلم من يعاني من نفس العقدة بحيث جعل المرأة خادمة في بيت زوجها ليس إلا، ومن يحمل فكراً كهذا كيف يتوقع منه أن يعطي المرأة دوراً في ممارسة التغيير في شؤون المجتمع؟

أما الإمام الشيرازي فقد أوكل عملية التغيير الاجتماعي لكل من الرجل والمرأة على السواء، منتقداً أولئك الذين يقللون من شأن المرأة ويشككون في قدرتها على أداء دورها في ممارسة عملية التغيير، فنراه يصرح قائلاً (١١٩):

١١٩ - (هكذا حكم الإسلام) لآية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي، ص ٧٠، الطبعة الرابعة، قم.

(وقع في البلاد الإسلامية تناقض هائل، فترى الكثير من الناس صنفين، صنف تحفظ على النساء إلى حد الخنق والشلل، وصنف أخرج النساء إلى ما لا يلائمهن ديناً ودنياً، تقليداً للغرب. وحيث إن الخنق خلاف طبيعة الإنسان، ولما لم يكن هناك منهج إسلامي معبد مطبق لتسلكه النساء، أخذت كثرة من النساء منهج الغرب والشرق، وبذلك عمت المآسي النسوية بلاد الإسلام.

وعلى هذا فمن الضروري إشراك النساء في العلم والعمل وفقاً للمنهج الإسلامي الوسط الذي لا إفراط فيه ولا تفريط، فالمرأة يجب أن تتعلم ولكن بدون استهتار، ويجب أن تعمل ولكن بدون تورط، ويجب أن تشارك الرجال في كل الميادين باستثناء ما حظره الإسلام لأجل كرامتها، وحفظ المجتمع عن الانزلاق).

لم يكن الإمام (حفظه الله) قد غادر في الكتاب جزئية من الجزئيات التي تتوقف عليها عملية التغيير والاصلاح إلا وخاض غمارها، مبتدئاً في ذلك من الفرد الذي يعد العضو الأساسي واللبننة الأولى في بناء المجتمع، فخاض في ما يجب أن يوفر له من الاحتياجات الأساسية بما يحفظ له كرامته وعزته، ثم بالمقابل من ذلك ينتقل إلى ما يجب أن يكون عليه الفرد في المجتمع.

والحقيقة يعد هذا الأمر من أهم شروط عملية الاصلاح، فالمصلح يجب أن لا يكون شغله الشاغل هو توفير السعادة، والحرية، والعيش الآمن لأبناء المجتمع وحسب، وإنما تتركز وظيفة المصلح في النهوض بالمجتمع إلى ما يجب أن يكون عليه، وإن كان هذا الهدف قد يضر بمصالح البعض من فئات ذلك المجتمع، ولكن في سبيل هذا الهدف الأكبر تهون التأثيرات الجزئية.

توفير فرص العمل أهم حاجات الأفراد

نجد المؤلف - في ضوء الابتداء بحاجات الفرد - يستهل المشروع بالخوض في ميدان توفير العمل فيعنون ذلك بعنوان (منظمة التشغيل) وذلك إدراكاً منه - دام ظله - بأن شرف الإنسان بعمله الشريف ولذا يجب أن تكون هناك مؤسسة تتولى أعباء هذه المهمة:

(في كل بلد يلزم أن توجد منظمة للتشغيل مهمتها معرفة الأفراد الذين يريدون العمل ويصلحون لمختلف الأعمال، والتعرف على الأعمال الشاغرة التي تشكو الفراغ وتريد العاملين، فإذا أعلنت منظمة العمل المتكونة من خمسة أشخاص - مثلاً - عن ماهية عملها انهال عليها العاطلون.... وبهذه الخطوة تكون منظمة التشغيل قد ملأت فراغاً هائلاً، واسدت إلى العمل والعامل يداً بيضاء).

ولا تفوتني الإشارة إلى الدقة التي يتسم بها سماحته في إطار العمل المؤسساتي. فهو يقول: (... منظمة العمل المتكونة من خمسة أشخاص مثلاً).

إن الذي يمر على هذه العبارة قد لا توحى له شيئاً، ولكن من له خبرة في مجال العمل المؤسساتي يدرك بأن المؤسسة يجب أن لا يتطرق احتمال التزلزل إلى عملها، بعبارة أخرى يجب أن تقطع إدارة المؤسسة في كل أمر يقع أمامها في إطار عملها، لا أن يبقى حالها متزلزلاً في بعض الأحيان بحيث لا تستطيع البت في أمر ما بناءً

(المثخلفون مليار مسلم) سماحة المرجع الديني الأعلى السيد محمد الحسيني الشيرازي ص ٤٢، مركز الرسول (ص) للتحقيق والنشر - بيروت لبنان. في الصفحة (٢٢) من الكتاب.

على هيكلتها الشورية وحسب ما يرى الإمام الشيرازي. لذلك وتحسباً للأمر نجد الإمام الشيرازي قد تنبه إلى أمر كهذا لذا يمثل للعدد الذي تكون عليه إدارة المنظمة بالعدد الفردي وهو الذي لا يترك فرصة لتساوي الآراء في أمر ما بحيث يبقى وضعه معلقاً، وإنما لابد أن تكون هناك أكثرية في ضوء العدد الفردي فلا بد من القطع في الأمر. ثم ينتقل سماحته بعد الفراغ من مسألة العمل إلى ضرورة الاستراحة بعد العمل، فيفكر بتوفير الراحة للعامل، والموظف، والمسؤول، الذي وفرت له منظمة العمل عمله لخدمة مجتمعه، فلا بد من الراحة بعد العمل لتجديد النشاط ليوم جديد، فيطرح بعد منظمة العمل (منظمة الإسكان) و (منظمة المسكن) اللتين تتكفلان بحل مشكلة السكن وأزمته، لتريح الإنسان من قضية تشغل بال الكثير ألا وهي مسألة الاستقرار فبدون الاستقرار لن يكون بمقدور الإنسان العطاء أكثر.

حقوق الأفراد

وبعد ان قسم المشروع - الذي طرحه الإمام - وقت الفرد المسلم بين العطاء لمجتمعه من خلال العمل، وبين الاستراحة، لم يعد هناك متسع للفرد في الالتفات إلى غير ذلك، فكان لابد من سد فراغ حصل أثر هذا التقسيم، وهذا الفراغ يتمثل في عدم التفات الفرد إلى حقوقه، والدفاع عن تلك الحقوق لنلا تتم مصادرتها، والتجاوز عليها. ومن هنا نشأت الحاجة إلى تشكيل منظمة تتولى مهمة الدفاع عن حقوق الفرد. لذا (يلزم أن تشكل في كل بلد منظمة الدفاع عن حقوق المسلمين والمضطهدين، مهمتها الدفاع عن كل من لا يقدر على احقاق حقه مسلماً كان أو غيره).

هذا فيما لو تسنى توفير الحياة الأمانة للفرد في بلده، أما لو تعذر توفر تلك الحياة الأمانة ولم يتسنَّ للبعض الحفاظ على حقوقه من التجاوز عليها، كان لابد من منظمة تعنى بتوفير العيش الآمن للأفراد في أماكن أخرى. (إن بلاد الإسلام اليوم ترزح تحت أكبر قدر من الاضطهاد في جميع جوانبها، وحيث إن هناك في البلاد المضطهدة أناساً لا ينفع بقاؤهم في تلك البلاد إلا انصباب الاضطهاد عليهم، وأناس آخرون إذا خرجوا من تلك البلاد نفعوا المسلمين سواء في بلادهم أو غير بلادهم، بحيث إن بقاءهم في بلادهم يوجب تجمدهم، فاللزام تشكيل لجنة لأجل تهجير أمثال هؤلاء).

لقد سبق القول إن المصلح يجب أن يكون بالمستوى الذي يحمل في داخله مشروعاً لما يجب أن يكون عليه المجتمع، وليس من يفكر فقط في سعادة المجتمع من ناحية الأمن والاقتصاد، ولكن مع ذلك ينبغي ألا يهمل هذا الأخير والاعراق في تنفيذ المشروع الأول بحيث يُنسى الثاني، فالمسألة ترتبط بالأولويات، حيث يجب أن تكون صيرورة المجتمع وما يجب أن يكون عليه، المشروع الأهم.

وبناءً على ذلك ينتقل المؤلف إلى الأمر الثاني وهو ما يتعلق بالرفاهية لأبناء المجتمع فيطرح مشروع (منظمة الابنية الخيرية) و (منظمة التبديل) التي تتولى مهمة (تبديل الأماكن القذرة إلى الأماكن النظيفة، كتبديل الحانات وبيوت الدعارة إلى محلات للأطعمة وبيوت سكنية - مثلاً -).

منظمة للتوجيه والتوعية

في ضوء كل ما تقدم لا ينسى سماحة الإمام الشيرازي ما للتوعية والتوجيه من دور في النهوض بالمجتمع إلى المرحلة التي يعي فيها مسؤوليته، فيشارك في بناء المجتمع علاوة على ما يقدمه للمجتمع من خدمة، فنجدته يدعو إلى تشكيل (منظمة التوجيه) التي تتولى مهمة توجيه وسائل الثقافة العامة من المدارس، والمسارح، والصحف، ودور السينما، والنوادي، والإذاعة، والتلفزيون، ودور النشر، ووكالات الأنباء، وغيرها. والتوجيه يكون بالسعي لتوظيف الأفراد الأكفاء في هذه الوسائل، وإصدار النشرات الموجهة إليهم، والاتصال بهم لأجل الإصلاح، وإرشادهم إلى مواقع النفع والضرر).

ويخلص بعد كل هذا إلى تحديد مواقع القوة في المجتمع الإسلامي، والتي يجب على جميع أفراد المجتمع الإسلامي الالتفات إليها والإفادة منها في ممارسة الإصلاح، وبناء المجتمع الإسلامي، كل من موقعه. فمراكز القوة في العالم أجمع - ولا يستثنى من ذلك المجتمع الإسلامي - تتجسد في المحاور التالية:

١ - المال.

٢ - السياسة.

٣ - العلم.

٤ - الصناعة.

(فاللزام على المسلمين التوصل إليها، فإن مراكز القوة هي التي تتمكن من إنهاض المسلمين من الانحطاط، ومناصرتهم لإيصالهم إلى المقدمة... فإذا كانت للمسلمين أعداد كبيرة - خمسين مليون - في مختلف هذه البلاد، وكانوا في مراكز الإشعاع، يمكن إخراج المسلمين من تأخرهم، بل وجعل الإسلام عالمياً له الكلمة الأولى، وهذا الأمر لا يصعب صعوبة كبيرة كما يُظن).

إعداد القوة

حين يتم بناء المجتمع الإسلامي من خلال بناء أفراده لابد من التفكير جدياً بالسبل اللازمة لحماية الكيان الإسلامي من القوى المعادية التي تحاول طمس معالم الدين الإسلامي (فاللزام على الحكومات الإسلامية أن تسلح نفسها بأفضل السلاح كماً ونوعاً لأجل حفظ نفسها من أعداء الإسلام).

فالتسليح إجراء وقائي تتبعه الدول الإسلامية لردع أعدائها فيما لو حاولوا النيل منها، وليس الهدف من التسليح هو تهديد الآخرين كما يتوهم البعض، فالدين الإسلامي هو دين التعايش السلمي مع الآخرين، لا دين الدعوة إلى الحرب والعنف، كما يصوره أعداؤه.

إن سلاح الدول الإسلامية لا يجب أن يكون بيد غيرها (لذا يجب على الحكومات الإسلامية تدريب الناس كلهم على السلاح، من غير فرق بين كل الأفراد القادرين على حمل السلاح، باستثناء من استثني في الجهاد الإسلامي).

وتبقى مسألة تدريب المرأة على السلاح - حسب رأي الإمام الشيرازي - من المسائل التقديرية التي يعود تشخيص ضرورتها إلى مراجع التقليد (بل الواجب إن كان هناك خوف حقيقي - حسب تشخيص شوري مراجع التقليد - أن تتدرب النساء على السلاح حسب الحاجة الإسلامية).

الاهتمام بالسياسة

هذا فيما يخص الفرد وحدود حماية المجتمع الإسلامي. أما ما يجب أن تكون عليه السياسة، فيرى المؤلف - دام ظله - بأنه (يلزم على الحكومة الإسلامية الاهتمام بشأن السياسة اهتماماً بالغاً، بأن تعين لجاناً خاصة لأجل تفهم السياسة العالمية والتيارات الجارية في مختلف الجوانب).

وعلى العكس من غيره ممن يدعو السياسة الإسلامية إلى التقوقع والانعسار تجد دعوة صريحة من الإمام الشيرازي للانفتاح على السياسة العالمية والتفاعل معها. فبدون الانفتاح على السياسة المذكورة لا يمكن التعايش معها بشكل إيجابي، في الوقت الذي نعيش مع تلك السياسة على أرض واحدة، إلا أن يدعى بأننا لا نعيش معها كذلك وهو ما لا يمكن قبوله.

وهذا الخطأ قد وقعت فيه بعض الدول الإسلامية، حيث مارست سياسة الانعسار مما أوقعها في مطبات ومشاكل كثيرة.

لقد دعا سماحته إلى ضرورة الوعي السياسي من قبل جميع المسلمين ولكن لا الوعي على سبيل الإحاطة بجميع جوانبها، فهذا ما لا يتسنى لكل فرد وإنما (وجوب تفهم جميع أفراد المسلمين السياسة بقدر يناسب شأنهم، فإن السياسة ارتبطت بكل شؤون الإنسان، وعدم تفهمها - بالإضافة إلى أنه جهل فاضح - يوجب تأخر الفرد في مختلف ميادين الحياة).

مواكبة العصر

ثم لابد للمجتمع الإسلامي أن يواكب الحضارة المعاصرة، ويتعلق بعجلة التقدم العلمي - على أقل التقادير - إن لم نقل بالمسايرة لنلا يتخلف عن الركب فيعيش بمعزل عن عالم التكنولوجيا الحديثة، فقد (اختلف عالم اليوم عن عالم الأمس، بتحكم التكنولوجيا في جميع شؤون الحياة، فاللزم على الأفراد والحكومة الإسلامية الاهتمام بهذه الجهة اهتماماً بالغاً وإلا تأخرت الدولة، والتأخر من مؤشرات الاستعمار والاضمحلال).

دور الشباب

في ضوء جميع ما ذكر يجب أن يعطى الشباب الدور الأكبر في تنفيذ المشروع النهضوي المطروح، وذلك لقدرتهم - أكثر من غيرهم - على العطاء (فإذا أخذوا بأزمة بلادهم تمكنوا من الأخذ بأزمة العالم).

ولا يتسنى للشباب المسلم أن يعي مسؤوليته تجاه مجتمعه ما لم تع المؤسسة التربوية - الأسرة - دورها في ذلك فيجب (على الآباء أن يجعلوا بيوتهم مدرسة لتربية أولادهم على تجاربهم اليومية.... وإذا نضج الجيل بتجارب الآباء ومعلوماتهم قفزت الحياة إلى الأمام، فإنه لا يصرف عمره في التجارب بل يبني طوابق جديدة فوق ما بناه الآباء).

هذه بعض الجوانب الهامة التي سلطنا عليها الضوء من كتاب (نحو يقظة إسلامية) وتركنا الأخرى لعدم أهميتها وإنما لضيق المقام عن ذلك.

جولة الكلمة

دار السيدة زينب (ع) الثقافية لتعليم الخطابة

يشهد عصرنا الحاضر قضايا عديدة، لها علاقة كبيرة بمسؤوليات التبليغ الإسلامية، كما لها دور كبير في مضاعفة هذه المسؤوليات الملقاة على عاتق طلبة العلوم الدينية.

من هذه القضايا تزايد دور الإعلام وتأثيراته في المجتمعات والأمم، وتنوع وسائل الإعلام وتطورها يرافق ذلك تعاظم الغزوات الفكرية وزيادة شراستها مع الاهتمام بالاستفادة من كل تلك الوسائل.

وهناك قضية أخرى مهمة، وهي الصحوة الفكرية التي يشهدها العالم بصورة عامة وأبناء مجتمعاتنا بصورة خاصة. ثم الانفتاح الفكري الذي يتزايد يوماً بعد يوم، وجلسات الحوار والمناقشة، والمطارات الفكرية العديدة.. كل ذلك يستدعي ضرورة الاهتمام بتطوير قدرات المبلغ الرسالي والخطيب المنبري ليتمكن من أداء دوره والقيام بواجباته على أحسن وجه.

وهذا ما يتطلب خطوات جريئة وبرامج مدروسة، تنهض بأعباء مسؤوليات إعداد الخطباء الأكفاء القادرين على الوصول للمستوى المطلوب، والقيام برسالة التبليغ بصورة فاعلة.

و (دار السيدة زينب - عليها السلام - الثقافية) هي واحدة من الخطوات الكبيرة على طريق تطوير فن الخطابة عند طلبة العلوم الدينية. وهي تسعى لإعداد كوادر خطابية مؤهلة وكفوءة، قادرة على مواكبة تطورات العصر ومستجدات الحياة.

ولكي نأخذ صورة أوضح عن هذه الدار الثقافية - الجديدة العهد - إتقينا سماحة السيد جواد القزويني (حفظه الله) الذي تقع على عاتقه مسؤولية إدارتها والإشراف عليها.

الكلمة الطيبة: سماحة السيد جواد القزويني (دام عزه) أهلاً ومرحباً بكم على صفحات مجلة (الكلمة الطيبة) وشكراً لكم لإتاحة هذه الفرصة لنا، والتفضل بالإجابة عن أسئلتنا واستفساراتنا.

في البداية نود أن نعرف الأسباب التي دفعتكم لتأسيس دار السيدة زينب (عليها السلام) الثقافية لتعليم الخطابة.

السيد القزويني: هناك أكثر من سبب ودافع وراء تشكيل دار السيدة زينب (ع) الثقافية للدورات الخطابية. أولى هذه الأسباب: مراجعة الكثير من طلبة العلوم الدينية لنا حول رغبتهم في تعلم الخطابة.

ثاني هذه الأسباب: إيجاد تحول في نهج الخطابة الحسينية حتى يصبح المنبر الحسيني قادراً على مواكبة العصر ومتطلباته والحيلولة دون الوقوع في المطبات، وأن يكون المنبر في خط أهل البيت (عليهم السلام) وأن لا يكون (أعواداً) كما قال سيد الساجدين وزين العابدين (عليه السلام).

ثالث هذه الأسباب: الحاجة الماسة إلى كوادر خطابية تستطيع أن تغطي الحاجة الدائمة إلى الخطباء على صعيد البلدان الإسلامية كسوريا الحبيبة والكويت والإمارات وجزر القمر وساحل العاج والعراق الجريح

والسعودية والبحرين وأمريكا. وهؤلاء سيؤدون دوراً مهماً عندما يعودون إلى بلدانهم. لهذه الأسباب شعرنا بأن إيجاد دورات خطابية هي أكثر من ضرورة. طبعاً كانت هناك تجارب محدودة في السابق ليست بهذا المستوى وبهذا الشكل وبهذا العدد من الطلبة الأعزاء.

الكلمة الطيبة: هل هناك شروط معينة لتسجيل الطالب ضمن الدورة الخطابية للدار؟ السيد القزويني: شروط التسجيل في الدورات الخطابية: أن يكون المتقدم طالباً في إحدى الحوزات العلمية وهذا يتحقق بكتاب من حوزته المباركة، كما يجب أن يجتاز اختباراً تقوم به إدارة الدار لمعرفة كفاءته العلمية وقدراته الخطابية من حيث الصوت والجرأة الأدبية.

الكلمة الطيبة: هل هناك طموحات تأمل الدار في تحقيقها مستقبلاً؟ السيد القزويني: تطمح الدار إلى أن تحول برنامج الدورات إلى (معهد خطابي) يتلقى الطالب فيه ثلاث مراحل من التعليم الخطابي:

في المرحلة الأولى يتم فيها تعليم الطالب ما يحتاجه الخطيب من الموضوعات العلمية والفنية. وفي المرحلة الثانية يتعلم الطالب فنون الخطابة. والمرحلة الثالثة هي المرحلة العملية حيث يقوم الطالب بممارسة الخطابة تحت إشراف الأساتذة. وبالإضافة إلى دورة الطلاب، سنفتح إن شاء الله تعالى دورة للطالبات، لأننا بحاجة ماسة إلى الخطيبات بالمستوى المطلوب، يستطعن أن يقمن بوظيفة الإرشاد والوعظ في الوسط النسائي.

هذا على صعيد الخطابة، وأما على صعيد الأعمال الأخرى ففي برنامجنا نهدف إلى القيام بعملين هامين هما: ١ - إيجاد مركز للتحقيق في المنبر الحسيني حيث يقوم هذا المركز بجمع المعلومات عن كل ما يتعلق بالمنبر الحسيني: تاريخه، أشهر الخطباء، الدول التي تقام فيها المجالس، عادات الشعوب الإسلامية من القديم إلى الآن في إقامة المجالس الحسينية، وإجراء عمليات إحصائية لعدد المجالس في الدول والمدن، إن وفقنا لذلك إن شاء الله.

٢ - إيجاد مركز لنشر الثقافة المنبرية حيث ستقدم الدار - بالتعاقد مع كبار الكتاب - على كتابة موضوعات تهم الخطباء ويستفيد منها المنبر الحسيني بقصد تطور المنبر إلى الأفضل. هذه هي مشاريعنا المستقبلية إن شاء الله تعالى.

الكلمة الطيبة: وما هو نظام الدراسة الذي تعتمده الدار حالياً؟ السيد القزويني: حالياً نظام الدراسة هو نظام الدورات، حيث يتم تدريس الطالب مدة ستة أشهر تقريباً إذا كانت كافية للطالب. والدروس موزعة على ثلاث حصص يومياً حتى أيام العطل ماعدا أيام الجمع. والدروس التي يأخذها الطالب حالياً هي: العقائد، النحو، قواعد التفسير، الأخلاق الإسلامية، البلاغة، وعلم العروض، وفن الخطابة النظرية والعملية.

الكلمة الطيبة: هل لكم أن تذكروا لنا أعضاء الهيئة التدريسية في الدار، والدروس التي يدرسونها؟ السيد القزويني: المدرسون في هذه الدار هم:

١ - الأستاذ الشيخ عبد الأمير النصراوي للخطابة العملية

٢ - الأستاذ الشيخ محمد كاظم الخاقاني للأخلاق الإسلامية

٣ - الأستاذ الشيخ عبد الكريم الحائري قواعد التفسير + العقائد

٤ - الأستاذ السيد مضر القزويني النحو الوظيفي

٥ - الأستاذ الشيخ حسين النصر اوي البلاغة + العروض

إضافة إلى دروس الخطابة النظرية التي يقوم بتدريسها سماحة العلامة الخطيب الكبير المجاهد الشيخ عبد الحميد المهاجر (زيد عزه). فوفق الله العاملين على هذه الدار وسدد خطى المشتغلين للعلم وخدمة أهل البيت (عليهم السلام).

الكلمة الطيبة: هل من كلمة أخيرة ترغبون بالإشارة إليها؟

السيد القزويني: يبقى أن أذكر أخيراً بأنني أعتز وأفتخر بخدمة هذه الدار، وكيف لا يكون ذلك وقد اختلط دمي ولحمي وعظمي وكل وجودي ببركة سيد شباب أهل الجنة (عليه السلام).

وأضيف بأنه قد تم تسجيل الدروس التي ألقاها سماحة العلامة المجاهد الشيخ المهاجر ووصلت إلى (١٩) ساعة من مجموع (٥٠) ساعة ومن الممكن أن تصبح هذه الدروس على شكل كتاب كي ينتفع به الخطباء إن شاء الله تعالى. وكذلك تستفيد الدار من محاضرات الخطباء المشهورين الذين يدعون في الجلسات المفتوحة لطرح تجاربهم وآرائهم على طلبية الدورة.

نسأل الله عز وجل أن يوفق العاملين على نهج أهل البيت (عليه السلام) كما نرجو من الله لكم وللجميع التوفيق والسداد. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

استراحة العدد

أربعة في أربعة

الصدق

إن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة

الرسول الأكرم (ص)

نظرة الوجه في الصدق

الإمام أمير المؤمنين (ع)

المرء ليس بصادق في قوله حتى يؤيد قوله بفعال

أحمد شوقي

ازرع الصدق والرصانة تحصد الثقة والأمانة

أمين الريحاني

المشورة

ما تشاور قوم إلا هدهم الله لأرشد أمورهم

الرسول الأكرم (ص)

من أعجب برأيه ضل، ومن استغنى بعقله زل

الإمام أمير المؤمنين (ع)

ولا تحسب الشورى عليك غضاضة فإن الخوافي قوة للقوادم

بشار بن برد

لا تشاور مشغولاً، ولا جائعاً، ولا مذعوراً، ولا مهموماً

قس بن ساعدة

التواضع

ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله

الرسول الأكرم (ص)

ضع فخرك، واحطط كبرك، واذكر قبرك، فإن عليه ممرك

الإمام أمير المؤمنين (ع)

أحب الخلق إلى الله المتواضعون

الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)

كلما ارتفع الشريف تواضع، وكلما ارتفع الوضيع تكبر

قول عربي

البخل

أي داء أدوى من البخل

الرسول الأكرم (ص)

من جاد ساد، ومن بخل رذل. وإن أجود الناس من أعطى من لا يرجوه

الإمام الحسن (ع)

البخيل شخص يعيش طيلة حياته دون أن يذوق طعم الحياة

بوشكين

البخيل شحاذ دائم

مثل بولوني

قصة مثل

أطعم من أشعب

هو أشعب بن جبير، مولى عبد الله بن الزبير، من أهل المدينة، يُكنى أبو العلاء، وكان من طمعه أنه يقول: ما تناجى اثنان إلا وقع في قلبي أنهما يأمران لي بشيء. قدم على يزيد بن حاتم بمصر، فرآه يُسارُ بعض خدمه، فانكب على يده يقبلها، فقال: ما لك؟ قال: رأيتك تسار غلامك، فعلمت أنك تأمر لي بشيء، قال: ما فعلت، ولكني أفعل، وأمر له بصلة.

اختلط الحابل بالنابل

يضرب مثلاً في اختلاط الأمر على القوم، حتى لا يعرفوا وجهه. والحابل هو صاحب الحباله، وهي شبكة الصيد التي يستعملها الصائد. والنابل هو صاحب النبل. وذلك أن يجتمع القناص فيختلط أصحاب النبال بأصحاب الحبال، وإنما يصاد في الافراد.

يعلم من أين تؤكل الكتف

قال الأصمعي: نقول العرب للرجل الضعيف الرأي: إنه لا يحسن أكل الكتف، لأن لحم الكتف إذا نزعته من إحدى جهاته انتزع جملة، وإذا نزعته من جهة أخرى تفرّق، وهم يعنون بالمثل ذلك.

أخبار الإنترنت والكمبيوتر

الانترنت تصدر نقوداً إلكترونية

طورت شركة بريطانية رائدة في مجال الانترنت تقنية تجعل من الممكن إصدار واستخدام العملات الإلكترونية وذلك باستخدام البرنامج الجديد الذي ستطلقه شركة (أوكنجتون). ويستطيع البرنامج أن يؤدي بطريقة لا مركزية الوظائف التي ينفذها النظام المصرفي الحالي بمركزية نسبية. ويسعى البرنامج لتأسيس بروتوكول تعاملات مالية موثوق به عن طريق إضفاء الشرعية على إصدار العملات والتعاملات المالية.

اغسل ملابسك عبر الانترنت

أنفقت شركة كورية مليوني جنيه إسترليني لتطوير أول غسالة ملابس تعمل من خلال برنامج على الانترنت، فيه تعليمات شاملة عن عمليات غسل الملابس بما فيها كيفية إزالة البقع الصعبة وأنواع النسيج. وتقول هذه الشركة إنه بالإمكان تشغيل هذه الغسالة من أي مكان في العالم عن طريق الإنترنت.

الأميريكيون ينفقون ١٢ مليار دولار لشراء مستلزماتهم عبر الانترنت

أشارت دراسة نشرتها (شركة كومنكتين) أن المستهلكين الأميركيين ينفقون ١٢ مليون دولار لمشترياتهم عبر الانترنت خلال أعياد نهاية السنة. وقد ارتفعت نسبة المشتريات إلى ٦٦% مقارنة مع العام الماضي. وأظهرت الدراسة أن ستة ملايين مستخدم للانترنت سيقومون بأول عملية شراء لهم عبر الشبكة خلال مناسبات نهاية السنة، أما المخضرمون في هذا المجال فسيخصصون جزءاً أكبر من ميزانيتهم لمناسبة الميلاد للشراء عبر الشبكة.

توقعات بانتشار الإنسان الآلي في العالم

تتوقع الأمم المتحدة في مسح سنوي صادر عنها أن ينتشر الإنسان الآلي في أماكن العمل في كل أرجاء العالم، سيدخل كذلك الإنسان الآلي إلى المزيد من المنازل. وظهر من خلال المسح أن أكثر الشعوب استخداماً للإنسان الآلي هو الشعب الياباني الذي يستخدم معدل ٢٨٠ إنساناً آلياً مقابل كل عشرة آلاف عامل. أما في أميركا وأوروبا فقد زاد الإقبال على شراء الإنسان الآلي نظراً لانخفاض الأسعار وتحسن الأداء.

(٩٤) مليون أميركي لن يتصلوا بشبكة الانترنت

أظهرت دراسة أجريت حديثاً أن حوالي ٩٤ مليون أميركي ليسوا موصلين بشبكة الانترنت. وأشار التحقيق الذي أجرته شركتا (بيو انترنت) و(أميركان لايف بروجكت) إلى مقاومة الأفراد الأكبر سناً للانترنت. كما أشار التحقيق إلى أن ٥٧% من البالغين الذين شملهم الاستطلاع، لا يعتزم بالتأكيد (٣٢%) منهم الاتصال بالانترنت، ولا يرجح (٢٥%) منهم الاتصال بالانترنت، أو استخدام البريد الإلكتروني. واعتبر ٥٤% من الراضين أن

شبكة الانترنت تنطوي على مخاطر بالنسبة إلى الحياة الشخصية وأن استعمالها يعد معقداً أو مكلفاً على الرغم من تدني كلفة الاتصالات المحلية في الولايات المتحدة. وأشار معدو التقرير إلى أن غالبية هؤلاء الممتنعين هم الأقل تعليماً وغالبيتهم من الأقليات الأثنية.

أخبار الطب والعلوم

مصل أنفي ضد الزهايمر

طور العلماء في جامعة هارفارد الأميركية مصلاً أنفياً يقلل من تحرك فيروس (الزهايمر) إلى المخ. وتمت تجربة المصل في بادئ الأمر على الفئران. ويتوقع العلماء أنه بحلول عام ٢٠٥٠ سوف يصل عدد المصابين بهذا المرض إلى ما بين عشرة ملايين وأربعة عشر مليوناً في أميركا وحدها. وحالياً يبلغ عدد المصابين أربعة ملايين. منهم ١٠% يصل معدل أعمارهم إلى ٥٨ سنة.

زراعة خلايا مخ الإنسان في المعمل

تمكن العلماء من زراعة خلايا مخ الإنسان في المعمل مما يفتح آفاقاً جديدة في معالجة أمراض العقل المستعصية. وذكرت صحيفة (الأوبزرفر) البريطانية أن العلماء تمكنوا من فصل الخلايا العصبية من عدة مناطق في قشرة الدماغ، حيث يعتزمون زرعها في دماغ بعض المرضى الذين يعانون من الصرع والسكتات الدماغية والزهايمر.

وعلى الرغم من أن فصل الخلايا العصبية من قشرة الدماغ كان يتم منذ فترة، إلا أنه كان يعتمد على توفر الأجنة الميتة. أما الآن وبعد نجاحهم في زراعة هذه الخلايا في المعمل فليست هناك مشكلة في البحث عن مصادر لهذه الخلايا العصبية.

اللحم الأحمر مفيد للصحة

إذا أردت أن تبقى صحيحاً معافى وأن تعيش عمراً أطول، فلا تبتعد عن اللحم الأحمر. يقول البروفسور روبرت بيكارد رئيس المؤسسة البريطانية للتغذية: أن هناك كيلو غراماً من البكتيريا في جهازك الهضمي مهمتها هضم اللحم.

فإذا لم تعطها بعض اللحم لتعمل عليه، فإنها سوف تنقلب عليك. وقد ذكر بيكارد لعلماء التغذية الذين أصيبوا بصدمة: (هناك دليل على أن ترك البكتيريا بدون عمل نتيجة لحمية صارمة يمكن أن يجعل الشخص مريضاً).

تصوير الانفعالات البشرية لأول مرة

نجح لأول مرة مجموعة من أطباء بيولوجيا الأعصاب في فرنسا من تصوير المراكز الخاصة بالحزن والسعادة في المخ عن طريق الرسم الإشعاعي الطبقي.

وقد أجريت التجربة على (٤٠) من المتطوعين لمعرفة انفعالاتهم من سعادة وحزن وخوف وغضب ورد فعل المخ على الانفعال الشخصي، حيث إن رد الفعل يعمل على زيادة تدفق الدم في الشرايين وحصول العضلات على كميات أكبر من الأوكسجين والجلوكوز إضافة إلى تأثير ضربات القلب بهذه الانفعالات.

التهاب الجيوب الأنفية والبكتريا

توصل فريق من العلماء الأميركيين إلى أن تكرار حدوث التهابات الأنفية، يؤدي إلى تكاثر الفطريات في تجويف الأنف وذلك بخلاف الاعتقاد السائد بدور الحساسية والبكتريا في هذه الإصابة. وأشارت الأبحاث التي أجريت بمستشفى (مايو كلينيك) الأميركية على مجموعة من مرضى التهابات الأنفية إلى تحسن نحو ٧٥% من هؤلاء المرضى الذين تناولوا عقاقير مكافحة للفطريات بالمقارنة لـ ٣٨% من المرضى الذين تناولوا عقاقير معالجة للحساسية.

أخبار طريفة

غرف مبرمجة ترتب الأثاث بدون مساعدة البشر..!

نجح فريق من العلماء الأميركيين في اختراع مادة ذكية يمكنها ترتيب نفسها بنفسها، كما يمكنها أن تعيد تنظيم كل ما يوضع عليها من أشياء، وهو ما اعتبره الخبراء مفتاحاً لفكرة يمكن أن تؤدي إلى اختراع طاولات مقاهٍ تقدم المشروبات إلى الزبائن أو طاولات مطاعم ترتب الأطباق وأدوات المائدة أوتوماتيكياً. ولم يقتصر طموح العلماء عند هذا الحد بل يمتد إلى محاولة التوصل إلى اختراع غرف مبرمجة يمكن أن ترتب الأثاث دون مساعدة البشر.

عمال البناء يحترمون زوجاتهم أكثر من المثقفين

في إحصائيات أجرتها إحدى المجلات في أميركا الجنوبية اتضح أن أكثر الرجال عنفاً في علاقتهم العائلية هم الذين يعملون في الجهاز الأمني، وكذا أصحاب المهن العليا. وهو شيء غريب على هذا النوع من الرجال الذي عادة ما يكون اجتماعياً ولطيفاً مع الناس، ولا أحد يتوقع أنه من الذين يضربون زوجاتهم. ومن المستغرب في الإحصائية أن أقل الرجال عنفاً هم عمال البناء.

حشرات تتحدى الإنسان في تسجيل الأرقام القياسية!!

لقد جرت العادة أن يكون الإنسان هو المخلوق الذي يتمتع بقوة جسمية، وذلك برفع الأوزان الثقيلة جداً، وقد استطاع أن يحقق الكثير من الأرقام القياسية في رفع الأوزان. ولكن نرى الآن الحيوانات هي التي تنزل إلى ساحة التحدي.

فالعنكبوت مثلاً يستطيع أن يرفع ثقلاً يزيد على وزنه بمقدار ٩٠٠ مرة، والنملة تستطيع أن تحمل بين فكّيها

طعاماً أثقل من وزنها بحوالي ٥٠ مرة. ولنفترض أن إنساناً وزنه ٨٠ كغ لذا يجب عليه أن يرفع بين فكيه حملاً يصل وزنه إلى ٤٠٠٠٠ كغ حتى يكسب الرهان مع نملة!!
وسوف لن يكسب أبداً حيث إن الرقم القياسي العالمي أصغر من ذلك بكثير. ونضرب مثلاً آخر حشرة أبو مقص التي تستطيع أن تحرك ثقلاً يزيد على وزنها مئات المرات، ولو امتلك الإنسان قوتها لاستطاع أن يرفع (٣٦) طناً.

العنوان الثابت مقعد في حديقة

قالت الصحف البريطانية إن مقعداً في حديقة بريستول العامة تحول إلى عنوان ثابت يحمل اسماً ورقماً ورمزاً بريدياً وكأنه مسكن عادي. وأوضحت الصحف أن السلطات الصحية المحلية لم تجد وسيلة أخرى لكي يتمكن ستة من المشردين من الإفادة من الخدمات الصحية. وتفرض القوانين على المستفيد من أي نوع من الخدمات الصحية أن يكون له عنوان ثابت.
ولما كان المشردون الستة يمضون الليل في أغلب الأحيان فوق هذه المقاعد أو قربها في الحديقة العامة، فقد أعطي أحد المقاعد اسماً ورقماً ورمزاً بريدياً واعتبر عنواناً ثابتاً لهم.

اختفاء بطاقة في جوفها ألماس قيمته ٥٠ مليون دولار

قال متحدث باسم الشرطة الصينية إن ماسات بقيمة ٥٠ مليون دولار سُرقَت في ٣ يونيو الماضي من أحد الأثرياء ويدعى شين لوجانغ، والذي كان ينوي نظمها في عقد لتقديمها كهدية لصديقه. ووقعت هذه الماسات في جوف بطاقة بلاستيكية في أحد مصانع اللعب البلاستيكية بمساعدة عامل يعمل في هذا المصنع.
وكانت خطة اللصوص تقوم على متابعة البطّة ووضعها في شحنة معدة للتصدير لتايوان، ولكن بسبب العدد الكبير من البطّات فقد العامل المتواطئ مع اللصوص أثر البطّة الحاملة للماسات في قسم التعبئة والتغليف. وبهذا فقد أرسلت إلى جهة غير معروفة! وتعتقد الشرطة أن البطّة قد اتجهت إلى الولايات المتحدة وهي صفراء اللون مع منقار أزرق، وبلغ طولها وارتفاعها أربع بوصات. ولكن جهاز الصوت فيها لا يعمل، لأن الماسات ملفوفة بورق الجرائد ومحشوة في باطن اللعبة!